كتاب
السفر إلى بخارا
(سفر نامۀ بخارا)
عصر محمد شاه القاجارى
١٢٥٩ - ١٢٦٠ ه - ق
دراسة وترجمة

د. فتحية حلمى أمين أحمد الدالى
مدرس بقسم اللغة الفارسية وآدابها
كلية الدراسات الانسانية
جامعة الأزهر
القاهرة

تقديم

إن كان أساتذتنا الذين قد سبقونا فى دراسة منطقة تركستان الغربية , ودراسة شعوب تلك المنطقة , وإلقاء الضوء على ما يتصل بحياتهم فى الماضى والحاضر , قد اعتبروا أن هذه الدراسات تعتبر من أهم المداخل لتدعيم أواصر الصداقة والتعاون بيننا وبينهم , بعد انقطاع طويل بيننا , وهذا ما أعطى كتاب سفر نامه بخارا (عصر محمد شاه القاجارى) من الأهمية لأن يحظى بالدراسة و الترجمة إلى اللغة العربية , ليكون إمتدادًا لتلك الدراسات السابقة حيث إن هذا الكتاب يعطى صورة دقيقة وجلية عن جزء هام من منطقة تركستان ألا وهو بخارا , وما يجاورها من إمارات .

وهذا الكتاب يلقى الضوء على تلك المنطقة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية , فضلا عن إجلاء الغموض عن حقبة تاريخية هامة من تاريخ بخارا ألا وهى حقبة حكم التورانيين « المنغيت أو المنكيت » وذلك بالتأريخ لفترة حكم أحد أمرائها وهو الأمير نصر الله بن الأمير حيدر بن الأمير شاهمراد الذى حكم إمارة بخارا فى الفترة من 1242 – 1277 هـ / 1826 – 1860 م , وذلك عبر رحلة قام بها أحد سفراء السلطان محمد شاه القاجارى فى الفترة بين 1259 – 1260 هـ , لتوطيد أواصر الصداقة بين البلدين , وتحرير عدد كبير من الأسرى و العبيد الذين كانوا لدى أمير بخارا وأهلها.

ولهذا فإنى أقدم هذا الكتاب لقراء اللغة العربية لما يحتويه من معلومات غزيرة وهامة وصادقة عن تلك المنطقة على الرغم من صغر حجمه .

وأخيرا أدعو الله العلى القدير أن يكون بحثى هذا مفيدا للدارسين , شاملا لما فى أذهانهم من تساؤلات عن تلك الحقبة المهمة فى تاريخ المسلمين , والله ولى التوفيق , وهو نعم المولى ونعم النصير .

الباحثة / د. فتحية حلمى أمين الدالى
مدرس بقسم اللغة الفارسية وآدابها جامعة الأزهر

سفر نامه بخارا
والكتاب مجهول المؤلف

تمهيد

قبل أن أنخرط فى تقديم هذا الكتاب ، وأتحدث عن المادة العلمية التى تناولها ، وجدت أنه من اللازم أن أضع القارئ فى البداية ، فى الزمان والمكان الذى حدثت فيه أحداث هذه الرحلة المثيرة .

فالزمان هو عصر الدولة القاجارية فى ايران ، والدولة المنغيتية «المنكيتية» فى بخارا .

والمكان هو مدينة بخارا .

ثم ألقى إن شاء الله الضوء فى البداية على عصر الدولة القاجارية باختصار شديد وأبرز دور الملك القاجارى محمد شاه ، الذى كان صاحب الكتاب مبعوثا خاصا باسمه .

ثم أعرج من هذا إلى الدولة المنغيتية (المنكيتية) ، وأبرز أيضا دور الأمير المنغيتى نصر الله خان بن الأمير حيدر الذى قصده مبعوث الملك القاجارى الخاص .

وأترك هذا ، وأتحدث عن مدينة بخارا ، مظهرة مكانتها ووضعها السياسى والمحن التى ألمت بها فى هذه الفترة الزمنية ودورها الحضارى فى الحضارة الاسلامية .

ثم أترك هذه المقدمات إلى التفاصيل التى وردت بالكتاب مبرزة مدى أهمية هذه الرحلة المثيرة .

ثم أقدم الكتاب مترجما إلى اللغة العربية . وقد بذلت جهدا كبيرا فى ترجمة هذا النص المهم كاملا لأقدمه لقراء العربية , حتى يستفيد به الدارسون الذين يعكفون على دراسة هذا العصر من النواحى التاريخية والسياسية .

ثم أختتم البحث والترجمة بقائمة المصادر والمراجع التى رجعت إليها .

وقبل هذا وذاك سوف أتحدث إن شاء الله تعالى عن الكتاب ونسخته ، ومؤلفه .

أولا : الكتاب والمؤلف

التعريف بالكتاب :

يذكر المحقق الأستاذ حسين زمانى أن الكتاب مسجل فى خزينة النسخ الخطية لمكتبة مجلس الشورى الاسلامى « **مجلس شورای اسلامی** » تحت رقم 2860 « العدد الأول » ، وقد ورد تعريف للكتاب فى المجلد العاشر من فهرس النسخ الخطية لهذه المكتبة كالآتى:

سفر نامه بخارا (فى شأن طوائف تكه فى مرو ، وسرخس ، وآخال وتجن) .

الكاتب : كان مبعوثا خاصا فى بلاط فتحعليشاه ، اتجه من طهران إلى بخارا بصحبة خليل خواجه ، رسول أمير بخارا ، وقد شرح فى تقريره وقائع رحلته من منزل إلى منزل .

نسخة الكتاب :

وهى نسخة لم تذيل بعبارة (انتهت) « پايان » . وهى مكتوبة بخط النستعليق ، وصفحاتها موضوعة فى إطار ، وعددها ثمان وتسعون (98) صفحة ، ورقها أبيض أفرنجى ، وحجمها خمسة عشر فى إحدى وعشرين (15 فى 21) ج ، وعدد سطورها اثنا عشر (12) سطرا .

وهذه النسخة نسخة فريدة صفحاتها كاملة ، ولكنها تعد نسخة ناقصة إذا لم يرد فى نهايتها أى اسم أو توقيع أو علامة تدل على المؤلف ، كما لم يرد فيها أى اشارة دقيقة عن العام الذى تمت فيه هذه الرحلة أو المهمة ، ومع هذا فهناك من القرائن والدلائل الواضحة ما يدلل على أن هذه المهمة قد تمت بين عامى 1259 – 1260 هـ ، حيث أشار المؤلف فى متن كتابه إلى العام التركى توشقان ئيل الذى يوافق عام 1259 هـ ، وكذلك إلى مهمة يوسف ولف الانجليزى فى بخارا سنة 1844 م والتى كانت توافق عام 1260 هـ .

وهذه الرحلة هى عبارة عن تقرير لرحلة أو سفريه لأحد موظفى الدولة الايرانية ، تم ايفاده من قبل الملك محمد شاه غازى القاجارى إلى بلاط أمير بخارا ، لإنجاز عدة مهام .

أما بخارا فقد كانت دائما موضع اهتمام العديد من الرحالة والمؤرخين ، فألفوا فى شأنها كتبا عديدة على مر العصور تحمل اسمها , منها :

1. كتاب تاريخ بخارا لمؤلفه أبى بكر محمد بن جعفر النرشخى 286 – 348 هـ / 899 – 959 م .
2. كتاب تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر لمؤلفه ارمنيوس فامبرى .

3. كتاب بخارى تحرير فيتالى نومكين وتصنيف اندريه نيد فيتسكى .
4. بخارا الشريفة لأحمد عزب .
5. بخارى فى صدر الاسلام لمؤلفه الدكتور محمد أحمد محمد .

مؤلف الكتاب

أما مؤلف الكتاب فهو مجهول ، ولكن هناك سمات تدل على شخصيته .

فإن كاتب أحداث هذه الرحلة فى الحقيقة لم يهتم أبدا بالإفصاح عن هويته فى صفحات رحلته ، فقد كان يقول على نفسه دائما العبد لله . وفيما يبدو أنه كان شخصية أمنية أو مخابراتية كبيرة لا يجب الإفصاح عن هويتها ، وكل ما ورد فى مقدمة المحقق عن شخصيته من معلومات ، استمدها من سجلات مكتبة « مجلس شورای اسلامی » أى مجلس الشورى الاسلامى ، وهى إنه كان مبعوثا خاصا فى بلاط كل من الملك فتحعلى شاه وبلاط الملك محمد شاه .

ومما يؤكد أنه فعلا لم يكن سفيرا عاديا ، هو منهجه فى تدوين وقائع رحلته ، إذ إنه كان يتحرى الأوضاع السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية لولايات المملكة القاجارية ، أثناء رحلته لينقلها بصراحة ودقة متناهية إلى أُولِّى أمر دولته ، حتى يتخذوا فيها ما يرونه مناسبا من قرارات . فنجده مثلا يذكر فى مستهل رحلته :

«كان من الضرورى تسجيل الوقائع التى تمت منذ يوم التحرك من دار الخلافة حتى العودة ، لتقديمها لأولياء الدولة » .

ثم نراه يُجيب , حين أراد شخصين من أعيان تركمان قبيلة التكة فى مرو التعرض له والتحفظ عليه حتى يعيدوا لهم أسراهم المحتجزين فى ايران , أثناء رحلة العودة إلى ايران بالأسرى الايرانيين , فيقول :

« وكان فى استقبالنا على بعد فرسخين من مرو القديمة عدة أشخاص من أعيان التركمان , ومن هؤلاء الأعيان مراد بيگ و قراول بيگى . وبعد انتهاء اجراءات الاستقبال قال : أنا لست صديقا لأنكم قد احتجزتم أسرانا فى مشهد , ونحن أيضا ينبغى علينا أن نتحفظ عليكم هنا , ولن نتركككم تعبرون إلا بعد أن يرد حضرة آصف الدولة لنا أسرانا .

فأجبت : لا يقبل العقل أن تكونوا هكذا فإنكم إن استطعتم أن تحتجزونى أنا , من يفتدى ملك الاسلام بروحه ويعيش فى كنفه , فإنكم سوف تغسلون أيديكم فى هذه الحالة من أرواحكم وأموالكم وعيالكم .»

ويمكن أن نفهم من إجابته هذه مكانة الرجل عند محمد شاه الملك القاجارى , ونستنبط شيئا عن أهمية منصبه فى دولته , الذى يجعل المساس بشخصيته يستتبع هذا التهديد الذى كاله إليهم لمجرد التلميح له بإمكانية التعرض له وإيذائه , هذا فضلا عما سوف نعرضه على القارئ عند الحديث عن وقائع رحلته إلى بخارا وعن الصلاحيات التى كانت موكلة إليه . والتى نستشف منها مدى أهمية منصبه وأنه لم يكن سفيرا عاديا .

ثانيا : الدولة القاجارية

أما اذا علمنا أن مؤسس هذه الدولة من أصل مغولى[1] ، وإنه وجماعته من إحدى طوائف الترك التورانيين[2] ، التى جاءت من صحراء القبجاق بمنغوليا[3] برفقة جنگيز خان ، إلى إيران ، واستقرت بالتحديد فى المنطقة الواقعة بين إيران والشام على حدود ارمنستان[4] ، فلعلنا بعد ذلك لن نعجب من حسن علاقات هذه الجماعات مع الأسرة المنغيتية ، التى تنتسب هى الأخرى إلى نفس الأصل . هذا إلا أن نقطة الخلاف الوحيدة بينهم أن الأسرة القاجارية كانت تعتنق مذهب الشيعة الاثنا عشرية ، بينما كانت الأسرة المنغيتية تعتنق المذهب السنى[5] .

والأسرة القاجارية يرجع نسبها إلى قاجار بن الأتابك سرتاق نويان ، الذى كان أتابكا لأبناء آباقا خان بن هولاكو . وقد أنجب قاجار هذا عدداً كبيراً من الأولاد ، فزادت شهرتهم وشوكتهم طبقا للتقاليد التركية ، حيث كانت القبائل تكتسب شهرتها و سطوتها و مكانتها وفقا لعدد أفرادها . وقد تم ترحيلهم بأمر من الشاه عباس الكبير شاه الصفويين من المنطقة التى نزلوا بها حين أتوا مع جنگيز خان ، إلى مناطق عدة ، فقد أنزلوا جمعاً منهم بمدينة مرو ، وجمع آخر نزل بقلعة مبارك آباد على حدود جرجان فى استرا باد ، وأنزلوا البعض فى قزوين ، ثم رحلوا من بقى منهم إلى منطقة ايروان [6]. وبذلك انقسمت الأسرة القاجارية إلى خمسة طوائف : سميت الأولى يوخارى باش ، والثانية اشاق باش ، والثالثة دوه لو ، والرابعة

---

[1] عباس اقبال آشتيانى – تاريخ ايران از صدر اسلام تا انقراض قاجارية – چاپ دوم – ص 459 – طهران 1392 هـ.ش .

[2] كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – ترجمه فارسى (ميرزا رحيم فرزانه) – به كوشش ايرج افشار – چاپ دوم – ص 19 – تهران 1367 هـ . ش .

[3] محمد جعفر خورموجى – تاريخ قاجار (حقايق الاخبار ناصرى) – بكوشش حسين خديوجم – ص 3 – تهران 1345 هـ / 1966 م .

[4] عباس اقبال آشتيانى – تاريخ ايران از صدر اسلام تا انقراض قاجارية – چاپ دوم – ص 459 .

[5] محمد جعفر خورموجى – تاريخ قاجار (حقايق الاخبار ناصرى) – بكوشش حسين خديوجم – ص 3 .

[6] محمد تقى لسان الملك سپهر – ناسخ التواريخ (تاريخ قاجاريه) – به اهتمام جمشيد كيا نفر – جلد اول ص 7 – 9 – تهران 1377 هـ . ش .

و كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – ترجمه فارسى – چاپ دوم – ص 19 .

شامبياتى ، أما الطائفة الخامسة فقد سميت بالقاجاريين القزوينيين ، وقد كان فى البداية زعيم طائفة يوخارى باش ، زعيما لجميع الطوائف الأخرى ، ولما جاء عهد فتحعلى خان قاجار[1]، كبير طائفة اشاق باش وعمل فى خدمة الشاه الصفوى طهماسب الثانى ، وتولى قيادة جيشه ، ورأس جميع الولايات التى تقع تحت ولاية الأسرة القاجارية ، تولى رياسة القبيلة كلها بجميع طوائفها [2].

وكان القاجاريون من أخلص حلفاء الصفويين[3]، حتى يمكن أن نقول إنهم كانوا من مريدى الأسرة الصفوية ، وكانوا يعملون فى خدمتهم ويحاربون فى جيوشهم ، مما يسر لكبار قادة أسرتهم لأن يتولوا بين

[1] أنجب فتحعلى خان ولدين أحدهما يدعى محمد حسين خان وقد توفى فى طفولته ، والآخر محمد حسن خان الذى كان يبلغ من العمر اثنا عشر عاما حين توفى والده على يد نادر شاه . أما محمد حسن خان فقد قتل على يد جيش كريم خان الزندية ، وقد ترك محمد حسن خان ، ولدين آقا محمد خان ، وحسين قلى خان جهانسوز ، وقد تولى الأخير حكم دامغان سنة 1184 هـ ، ولأنه كان عنيفاً وظالماً وحاد الطبع فقد لقبوه بجهانسوز ، وقد أعلن العصيان على ولى نعمته فقتل على يد التركمان فى استرآباد سنة 1188 هـ .

عباس اقبال آشتيانى – تاريخ ايران از صدر اسلام تا انقراض قاجارية – چاپ دوم – ص 460 ، 461 .

كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – ترجمه فارسى – چاپ دوم – ص 20 .

[2] محمد تقى لسان الملك سپهر – ناسخ التواريخ (تاريخ قاجاريه) – جلد اول ص 9 .

و كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – ترجمه فارسى – چاپ دوم – ص 20 .

[3] كانت هناك صلة قرابه تجمع بين الأسرة القاجارية والأسرة الصفوية ، حيث كان يشتركان فى النسب بصلة القرابة التى تجمع كلا منهما بأحد سلاطين التركمان الذى كان يدعى حسن بيگ آق قوينلو حيث كان الشاه اسماعيل الصفوى ينتسب من ناحية والده التى تدعى آقچه قوينلو بصلة نسب مع الأسرة القاجارية ، لذا كان زعماء القاجارية على وفاق كامل مع الصفويين وعونا لهم فى الحكم .

اعتماد السلطنه «محمد حسن بن على» – تاريخ منظم ناصرى – ج 3 – ص 1363 – تهران 1367 هـ.ش

الحين والآخر عدة مناصب مهمة فى الدولة الصفوية ، فمنهم من تولى إمارة بعض الولايات التابعة للدولة الصفوية ، ومنهم من كان سفيرا لها ، هذا غير العديد من المناصب الهامة الأخرى[1] .

وظل فتحعلى خان زعيما للأسرة القاجارية بكامل طوائفها ، حتى قتل على يد نادر شاه افشار[2]، ففر ابنه محمد حسن خان إلى تركستان وعاش بينهم فترة ، ثم عاد إلى ايران مرة أخرى ، بعد مقتل نادر شاه ، على رأس عدد من الفرسان التركمان و دخل فى حرب مع كريم خان الزندى[3] فقتل فيها[4].

وكان أكبر أبناء محمد حسن خان الذى يدعى آقا محمد خان ، قد وقع أسيرا فى يد نادر شاه ، عندما حاصر والده مدينة استراباد ، فظل فى الأسر حتى تولى عليقلى خان بن أخو نادر شاه ، الحكم بعد مقتل

---

[1] عباس اقبال آشتيانى – تاريخ ايران از صدر اسلام تا انقراض قاجارية – چاپ دوم – ص 459 .
و كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – ترجمه فارسى – چاپ دوم – ص 19 .
و سيد محمد على داعى الاسلام – فرهنگ نظام (فارسى به فارسى) – ج 4 – ص 88 – الهند 1356 هـ / 1938 م .

[2] تولت الأسرة الافشارية التى تنحدر من الجنس التركى حكم ايران بعد سقوط حكم الصفويين سنة 1148 هـ / 1736 م ، وقد استطاع نادر شاه أن يبسط نفوذه على حدود ايران بالكامل ، كما استطاع أن يستولى على أفغانستان وكابل وقندهار فى سنة 1149 هـ ، وبلغ حدود لاهور وهاجم دهلى فى عام 1151 هـ ولكنه عقد صلحا مع ملك بلاد الهند المغولى ، وقد بلغت حدود ايران فى فترة حكمهم من شواطئ نهر السند حتى القفقاز ، وقد بلغ عدد حكام هذه الأسرة أربعة حكام .
استانلى لين بول – طبقات سلاطين اسلام – ترجمه فارسى (عباس اقبال) – چاپ دوم – ص 230 – تهران – 1363 هـ . ش .

[3] قامت دولة الأسرة الزندية على أنقاض حكم الافشاريين ، وقد استطاعوا أن يبسطوا سلطانهم على كافة أراضى ايران ما عدا ، خراسان حيث كان ذلك الجزء يقع تحت حكم شاهرخ الافشارى ، وقد استمر حكمهم فى الفترة من 1163 هـ إلى 1193 هـ / 1750 – 1779 م .
استانلى لين بول – طبقات سلاطين اسلام – الترجمه الفارسية (عباس اقبال) – چاپ دوم – ص 230.

[4] محمد تقى لسان الملك سپهر – ناسخ التواريخ (تاريخ قاجاريه) – جلد اول ص 9 .
و كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – ترجمه فارسى – چاپ دوم – ص 20 .

نادر شاه ، فأمر عليقلى خان بأن يُخْصوا آقا محمد خان ، وبعد فترة قليلة هرب آقا محمد خان من حبس الأفشاريين وعاد إلى والده ، ثم استسلم لكريم خان بعد مقتل والده ، وحملوه إلى شيراز ، فخصَّه كريم خان برعايته ومودته ، حين توسم فيه أمارات الذكاء والفطنة . وعندما رحل كريم خان عن شيراز ، أسرع آقا محمد خان إلى مازندران ، وأخذ يعد عُدته لتجهيز جيش له ، فاستطاع أن يستولى على مدينة كرمان بعد عشر سنوات ، ويعلن استقلاله بملك ايران سنة 1210 هـ / 1795 م . فقام زعيم شرطة شيراز بفتح باب المدينة أمامه ، فى غيبة لطفعلى خان الزندى خليفة كريم خان الزندى ، مما مهد لآقا محمد خان الطريق لإرساء قواعد سلطنته ، فكافأه آقا محمد بأن عينه وزيرا له[1].

وقد استطاع آقا محمد خان أن يفرض نفوذه على مناطق عديدة فى ايران ، بفضل جيوشه التى كانت قد اكتسبت خبرة واسعة فى أمور الحرب والقتال والنزال ، فيما خاضته من حروب فى خدمة الأسرة الزنديه . فاستولى على گرجستان وتفليس وخراسان ، واتخذ من طهران عاصمة له ، ودخل فى حروب مع الامبراطوريه الروسية ، وقد توفى آقا محمد خان فى مدينة شوشى التابعة لولاية قراباغ ، سنة 1211 هـ ، مقتولا على يد خادمين من خدمه ، وكان فى الثالثة والستين من عمره ، وقد بلغت مدة حكمه ثمانية عشر عاما ، وقد قضى معظم فترة حكمه فى تنظيم وترتيب أمور الدولة[2].

الملك فتحعلى شاه

[1] كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – الترجمه فارسية – چاپ دوم – ص 20، 21 .

[2] محمد تقى لسان الملك سپهر – ناسخ التواريخ (تاريخ قاجاريه) – جلد اول ص 84 .
وكلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – الترجمة الفارسية – چاپ دوم – ص 28 – 31 .
وعباس اقبال آشتيانى – تاريخ ايران از صدر اسلام تا انقراض قاجارية – چاپ دوم – ص 462 .

ثم تولى من بعده فتحعلى شاه قاجار ، ابن أخو آقا محمد خان بن حسن قلى خان ، فى سنة 1212 هـ / 1797 م . وكان فتحعلى قد تربى فى كنف عمه آقا محمد خان ، فأعطاه ولاية العهد ، وقتل من أفراد الأسرة القاجارية كل من كان يلمس فيه أنه سوف ينازع بن أخيه فى الحكم ، ولم ينج من هذا المصير سوى واحد من أفراد الأسرة ويدعى صادق خان شقاقى الذى أعلن العصيان ، فتم القبض عليه من قبل فتحعلى شاه فسجنه فى حجرة ومنع عنه الطعام حتى مات من الجوع[1]، وهكذا استتب أمر السلطنة له .

وقد فقدت ايران فى عهده جزءً كبيراً من الأراضى التابعة لها ، لصالح الروس بسبب إخفاقاته المتكررة أمامهم فى الحروب ، وعجزه عن التوصل إلى حلول دبلوماسية معهم ، بسبب إنصاته إلى توجيهات كل من انجلترا وفرنسا ألد أعداء الروس ، حيث سعت روسيا سعيا دءوبا لعقد اتفاقيات تجارية وعسكرية مع ايران ، إلا إنها كانت تتراجع عنها دوما فى اللحظات الأخيرة[2].

كما فقدت مرو على يد الأوزبك ، حكام بخارا من الأسرة المنغيتية ، وقتل حاكمها القاجارى پيرام على خان سنة 1219 هـ ، ففر ابنه حاجى محمد حسين خان إلى بلاط فتحعلى شاه ، وأصبح من ندماء الملك . وقد كان حاجى محمد حسين خان هذا ينتسب إلى الأوزبك من ناحية أمه حيث كانت أمه من الأسرة الشيبانية [3]. ولذا نجده يرسل إلى أمير بخارا الأمير حيدر ، كبار رجالات الدولة القاجارية لتهنئته على توليه حكم بخارا ، فاستقبلهم الأمير حيدر بكل ترحاب ، وأهدى كلاً منهم قبل عودتهم إلى بلادهم ، الهدايا التى تليق بمكانته ، ثم أذن لهم بالرجوع[4].

---

[1] محمد تقى لسان الملك سپهر – ناسخ التواريخ (تاريخ قاجاريه) – جلد اول ص 76 – 91 .
وكلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – الترجمة الفارسية – چاپ دوم – ص 33 ، 34 .
وعباس اقبال آشتيانى – تاريخ ايران از صدر اسلام تا انقراض قاجارية – چاپ دوم – ص 466 .

[2] كمال مظهر أحمد «دكتور» – دراسات فى تاريخ ايران الحديث والمعاصر – ص 18 – 44 – بغداد 1985 م
وكلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – ترجمه فارسى – چاپ دوم – ص 76 .

[3] محمد جعفر جور موجى – تاريخ قاجار (حقايق الاخبار ناصرى) – ص 27

[4] ميرزا شمس بخارايى – تاريخ بخارا ، خوقند وكاشغر (در شرح حكمرانى امير حيدر در بخارا ، محمد على خان در خوقند وجهانگير خواجه در كاشغر) – تصحيح وتحقيق محمد أكبر عشيق – ص 69 – تهران 1377 هـ. ش .

وقد كان فتحعلى شاه شاعراً مجيداً ، وله ديوان شعر بالفارسية ، حتى إنهم كانوا يلقبونه بلقب ملك الشعراء العجوز، وقد بدأ فى عصره أول عام فى التقويم الايرانى الذى يسمونه «بالنوروز السلطانى» والذى يبدأ فيه العام فى أول الربيع . وهو من أدخل النظام الافرنجى إلى بلاده وقد درَّب جنود جيشه على النسق الأوربى ، وقد تزوج زيجات متعددة ، و كان له من الأبناء قبل وفاته مائه وخمسين ولدا وعشرين بنتا ، وقد استقل كل واحد من أبنائه بحكم إحدى الولايات ، وقد بلغ عدد نسله كاملا عشرة آلاف نسمة[1].

وكان ابنه وولى عهده ونائب سلطنته الأمير عباس ميرزا ، قد توفى سنة 1249 هـ ، فقام فتحعلى شاه بمنح حفيده ابن عباس ميرزا ، الأمير محمد ميرزا ، الذى لقب فيما بعد بمحمد شاه ، ولاية خراسان وإمارة آذربيجان ، ثم ولاه ولاية العهد ، ونيابة السلطنة خلفا لأبيه[2].

توفى فتحعلى شاه سنة 1250 هـ/1834 م ، فى أصفهان ، عن عمر يناهز ثمانية وستين عاما ، ودفن فى مدينة « قم » فى مسجد بجوار حضرة معصومه ، وقد بلغت مدة حكمه سبعة وثلاثين عاماً[3].

الملك محمد شاه

وهو الملك القاجارى الذى تمت فى عهده هذه الرحلة ، فهو الذى أرسل ذلك المبعوث الخاص من قبله إلى بخارا .

تولى محمد شاه بن عباس ميرزا الملقب بمحمد شاه الغازى سلطنة ايران ، فى السابع من شهر رجب سنة 1250 هـ/ 1834 م[1]، فى مدينة تبريز ، حيث كان وقت وفاة الملك فتحعلى شاه ، يؤدى بعض

[1] كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – ترجمه فارسى – چاپ دوم – ص 35 – 37 .
و شاهين مكاريوس – تاريخ ايران – ص 240 – القاهرة 1424 هـ / 2003 م .

[2] محمد جعفر جور موجى – تاريخ قاجار (حقايق الاخبار ناصرى) – ص 35 ، 36 .
وعباس اقبال آشتيانى – تاريخ ايران از صدر اسلام تا انقراض قاجارية – چاپ دوم – ص 491 .
و محمد تقى لسان الملك سپهر – ناسخ التواريخ (تاريخ قاجاريه) – جلد اول – ص 512 .

[3] محمد جعفر جور موجى – تاريخ قاجار (حقايق الاخبار ناصرى) – ص 36 .
و محمد تقى لسان الملك سپهر – ناسخ التواريخ (تاريخ قاجاريه) – جلد اول ص 517 .
و كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – الترجمة الفارسية – چاپ دوم – ص 76 .

المهام الموكلة إليه من قبل جده فتحعلى شاه . وكان محمد على شاه قد مر عليه عام كامل دون أن يتسلم مستحقاته المالية المقررة له من قبل أهل آذربيجان بسبب اعلانهم العصيان على الدولة ، فكان حين توفى جده خالى الوفاض[2] ، ولم يكن يملك من المال ما يؤمن له رحلته إلى طهران عاصمة ملكة ، فاضطر لأن يطلب من القائم بالأعمال الانجليزى أن يتوسط لدى الوزير الانجليزى المفوض لكى يقرضه تكلفة رحلته إلى طهران على أن يسددها له حين وصوله إلى عاصمة ملكه ، حيث كانت خزانة فتحعلى شاه خالية من الأموال حين وفاته . مما يدلل على الوضع الاقتصادى للدولة حينذاك[3].

وقد قام سيرجان كامپل وزير الانجليز المفوض بإقراض ملك ايران مبلغ ثلاثين ألف تومان لتوفير لوازم السفر إلى تهران[4].

وقد ثار عدد من أعمامه ضده طمعا فى الملك فتمكن من صدهم والقضاء عليهم ، وكان من أهمهم عمه الذى يدعى ظل السلطان ، الذى هزم من محمد شاه فسلم إليه تهران طوعا واعتذر له . وبعد أن استقر الملك له ، عين ابنه ناصر الدين شاه وليا لعهده على الرغم من صغر سنه ، وفوض أمر وزارته إلى حاجى ميرزا آقاسى ، ولم يستطع حاجى ميرزا آقاسى أن يدير أمور المملكة بصورة جيدة ، فكانت دائما ما تختل الأمور فى يديه ، مما عاد على المملكة بالخسارة ، وأثر على استقرارها [5].

كان محمد شاه الغازى مقاتلا فذا فى جيش والده ، وكان أغلب كبار رجال الدولة يحترمونه ويطيعون أوامره ، حتى إن الدولة الانجليزية قد طلبت منه الحماية لرجالها الموفدين فى بلاد الشرق وآسيا الوسطى[6]،

---

[1] محمد جعفر جور موجى – تاريخ قاجار (حقايق الاخبار ناصرى) – ص 36 .

و محمد تقى لسان الملك سپهر – ناسخ التواريخ (تاريخ قاجاريه) – جلد دوم – ص 609 .

[2] سفر نامه رضا قلى ميرزا نوه ى فتحعلى شاه – بكوشش اصغر فرمانفرمائى قاجار – تقديم سعيد نفيسى – ص 6،7 – تهران 1346 هـ.ش

[3] محمد تقى لسان الملك سپهر – ناسخ التواريخ (تاريخ قاجاريه) – جلد دوم – ص 609 .

كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – الترجمة الفارسية – چاپ دوم – ص 76 .

[4] كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – الترجمة الفارسية – چاپ دوم – ص 118 .

[5] كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – الترجمة الفارسية – چاپ دوم – ص 120 .

ومحمد جعفر جور موجى – تاريخ قاجار (حقايق الاخبار ناصرى) – ص 36 – 50 .

[6] كلمنت ماركام – تاريخ ايران در دوره قاجار – الترجمة الفارسية – چاپ دوم – ص 118 .

لذا نجد المبعوث الخاص الموفد من قبله إلى بخارا يتصدى لمشكلة يوسف ولف القس والمبشر المسيحى الذى سجن فى بخارا بأمر من أميرها. ويفرد العديد من صفحات رحلته لوصف مشكله يوسف ولف ، بل وكان يهدر الكثير من وقته فى عرض مشكلته ، ويتناول بحثها فى الكثير من محادثاته مع أمير بخارا[1].

وفى عام 1264 هـ ، أصيب السلطان محمد شاه بمرض النقرس ، وظل يتداوى منه فترة من الزمن ، ولكن المرض تغلب عليه فتوفى فى شوال من نفس العام فى قصره الجديد وقد ترك حين وفاته خمسة من الذكور ، وأربع عشرة من الاناث[2].

ثالثا : الدولة المنغيتية (المنگيتية)

يرجع نسب الأسرة المنغيتية[3] إلى منغيت وهو توأم ، ولد ملتصقا مع أخيه فى بلاد كيش التى اشتهرت فيما بعد باسم شهر سبز[4] أى المدينة الخضراء , وتم فصل هذا التوأم من قبل الأطباء , سمى

[1] سفر نامه بخارا (عصر محمد شاه قاجار) – باهتمام حسن زمانى – ص 34 ، 35 ، 39 ، 40 وغيرها – تهران 1373 هـ . ش .

[2] ومحمد جعفر جور موجى – تاريخ قاجار (حقايق الاخبار ناصرى) – ص 49 ، 50 .

[3] تنقسم القبائل المنغيتية إلى ستة قبائل لكل منها اسم خاص بها ، وقد كان محمد حكيم بى جد محمد رحيم خان مؤسس دولة المنغيتيين ينتمى إلى قبائل (ايلى توق منغيت) أى قبائل أغنياء منغيت ، الذين كانوا يملكون أراضى واسعة حول مدينة قرشى التى كان يقال لها قديما بلاد نسف ، وكانوا يعملون بالزراعة وتربية المواشى ، وكانوا يشتهرون بشجاعتهم ونبل أخلاقهم بين القبائل التركية .
السيد عبد المؤمن السيد أكرم – أضواء على تاريخ توران تركستان – تقديم الأستاذ أحمد جمال – ط 1 – ص 115 – مكه المكرمه – 1395 هـ .
و ارمنيوس فامبرى – تاريخ بخارى – الترجمة العربية (د. أحمد محمود الساداتى) – ص 406 .

[4] تقع مدينة شهر سبز على نهر كُشكه دريا الذى يجرى جنوب نهر السغد والذى كان يسمى من قبل نهر نهر القصارين ، و هذه المدينة كان يقال لها فى العصور الوسطى كشّ , وهى مدينة مساحتها حوالى ربع ميل مربع ، وكانت أبنيتها من الطين والخشب ، ولها قهندز وحصن وربض ومدينة اخرى تتصل بالربض تعرف الآن باسم كتاب ، وفيها خانات ودار الامارة وأسواق وسجن ومسجد جامع ، وهى مدينة تشتهر

الأول منغيت بمعنى (مشى) , وسمى الثانى كينه كس بمعنى (المقطوع ظهره)[1]. ومنغيت يسمى أيضا منگيت ، بمعنى (بينى پهنان) وهى تعنى صاحب الأنف العريضة , وقد جاءت قبيلة أو أسرة منغيت / منگيت من صحراء قبچاق برفقة محمد شيبانى خان ، فى بداية القرن العاشر الهجرى ، وقد كان محمد شيبانى خان يستعين بهم فى حروبه ، فاستقروا فيما بعد بخانية بخارا ، وفى عصر عبيد الله خان بن سبحان قلى خان الحاكم الاسترخانى ، استقر جزء منهم فى بلاد نسف التى تسمى الآن قرشى ، وقد قوى نفوذهم فى عصر الأسرة الاسترخانية[2] ، ووصل رؤساؤهم فى النصف الأخير من القرن الثانى عشر إلى وزارة أمراء بخارا ، ثم أوصياء على آواخر ملوكهم ، ثم ورثوا حكم سادتهم بعد مدة من الزمن , وكونوا لأنفسهم دولة اتسعت رقعتها ، حتى فاقت رقعة دولة الشيبانيين أنفسهم[3]، على يد مؤسسها محمد رحيم خان بن محمد

بخصوبة اراضيها ، تنضج فيها الفواكه أسرع من سائر بلاد ماوراء النهر وهى لها اربعة أبواب : باب الحديد ، وباب عبيد الله ، وباب القصابين ، وباب المدينة الداخلة . وللمدينة الخارجه بابان : باب بركنان نسبة إلى قرية بركنان ، وباب المدينة الخارجة .

كى لسترنج – بلدان الخلافة الشرقية – الترجمة العربية (بشير فرنسيس و كوركيس عواد) – ط1 – ص 512 – بغداد 1373 هـ / 1954 م .

[1] السيد عبد المؤمن السيد أكرم – أضواء على تاريخ توران تركستان – ط 1 – ص 115 .

[2] يطلق على الاسترخانيون أسماء عدة فى كتب التاريخ حيث يقال لهم اشترخانيان وهشرخانيان وجانى ها .

ميرزا شمس بخارايى – تاريخ بخارا , خوقند وكاشغر – تحقيق/ محمد اكبر عشيق – ص 22 .

[3] ارمنيوس فامبرى – تاريخ بخارى – الترجمة العربية (د. أحمد محمود الساداتى) – ص 406 .

السيد عبد المؤمن السيد أكرم – أضواء على تاريخ توران تركستان – ط 1 – ص 115 .

استانلى لين پول – طبقات سلاطين اسلام – الترجمة الفارسية – چاپ دوم – ص 248 .

حكيم بى اتاليق[1] بن منغيت الذى كان يعمل فى خدمة الأمير أبو الفيض خان بن عبيد الله خان حيث كان وزيرا له ، وكان هو ووالده يملكان زمام أمور دولة أبو الفيض خان [2].

وقد أخذ نفوذ أشراف قبائل الأوزبك والتركمان يزداد وينمو فى تلك الفترة ، حتى وصل إلى ذروته ، فأخذوا يرفعون راية الاستقلال عن خانية بخارا ، واستقلوا بما تحت أيديهم من البلاد عن بخارا .

وعليه استغل الحاكم الايرانى نادر شاه افشار[3] ذلك الضعف الذى دب فى أوصال حكام الدولة الاسترخانية ، وتدهور الأوضاع السياسية فى خانية بخارا ، وقام بإرسال ابنه رضا قلى خان إلى بلاد ما وراء النهر فاستولى على العديد من بلدانها . وبعد أن إنتهى نادر شاه من أمر بلاد الهند فى نهايات عام 1152 هـ / 1739 م ، توجه بجيشه القوى إلى بلخ لفتح بلاد ما وراء النهر . وعنما علم أبو الفيض خان بوصول نادر شاه إلى ضفاف نهر آمو ، شعر بقلق واضطراب شديدين ، ووجد أنه لابد وأن يرسل حكيم بى أتاليق وزيره ومستشاره إلى معسكر نادر شاه كسفير له ، وكلفه بأن يطلب من شاه ايران أن يحل ضيفا على مدينة قراكول على أن يكون فى ضيافة أمير بخارا . وعاد حكيم بى اتاليق إلى أبو الفيض خان بعد أن أجرى محادثات مع نادر شاه ، ومعه رساله من ملك ايران سلمها إلى أبى الفيض ، توجه أبو

---

[1] أتاليق منصب من مناصب الدولة ومعناه عمدة الأمراء ومن يتولى ذلك المنصب يكون مستشارا للملك .

السيد عبد المؤمن السيد أكرم – أضواء على تاريخ توران تركستان – ط 1 – ص 115 .

[2] ميرزا شمس بخارايى – تاريخ بخارا , خوقند وكاشغر – تحقيق/ محمد اكبر عشيق – ص 48 .

[3] يرجع نسب الطائفة الافشارية إلى اوشاربن يولدوز خان أبناء قراخان وايلخان اللذان ينتهى نسبهما إلى ترك بن يافث بن نوح ، وهم يستوطنون مناطق عديدة كخراسان وفارس وآذربيجان وآران . أما نادر افشار فاسمه ندر قلى بيك قرقلو بن امامقلى خان ، الذى ولد فى سنة 1100 هـ فى بلدة ابيورد بخراسان ، عمل فى صباه وشبابه فى رعى الإبل ، ولما ظهرت علية أمارات القيادة وهو فى طور الشباب استدعاه الشاه طهماسب وأورثه سرير الحكم فاستطاع أن يسطر اسمه فى كتب التاريخ فى وقت قصير ، حتى أنه لقب بصاحب القيادة ولقب أيضا بطهماسب قلى خان .

ميرزا رشيد اديب الشعرا – تاريخ افشار – بتصحيح واهتمام محمود راميان و پرويز شهريار افشار – ص 9 ، 74 ، 75 – تبريز 1346 هـ.ش.

الفيض خان على إثرها إلى معسكر نادر شاه حاملا معه الهدايا والتحف . ولم يكن أبو الفيض وحده هو من إتجه إلى معسكر ملك ايران ، فقد توافد فى نفس الوقت وفود عدة من كافة نواحى بلاد ما وراء النهر أيضا إلى معسكر شاه ايران . ولكن عندما سمع أبو الفيض خان أن نادر شاه قد عزم على المجئ إلى بخارا ، للثأر لمقتل آدينه قلى داد خواه أثناء المعارك مع رضا قلى خان ، قرر الصمود أمامه، وعلى خلاف ما كان حكيم بى اتاليق يتخذ من تدابير ، حيث كان لا يوافق الدخول فى حرب مع نادر شاه ، اختار أبو الفيض أن يدخل فى حرب مع شاه ايران ، وخرج بجيوشه على بعد منزلين من بخارا وانتظر مقابلة نادر شاه بجيوشه ، وبالفعل تحرك نادر شاه بجيوشه ناحية بخارا ، والتقى الجيشان فى منطقة تسمى چاربكر على ضفاف نهر زرفشان ، فهزم أبوالفيض ، وفر إلى قلعة بخار ليحتمى بها ، وندم على رفضه لنصيحه حكيم اتاليق ، وعليه أرسل حكيم بى اتاليق إلى نادر شاه يعاهده فيها على الطاعة ، فوافق نادر شاه على الصلح وأرسل لأبو الفيض الهدايا والتحف ، بينما تقدم ابو الفيض إلى نادر شاه حاملا الهدايا القيمة أيضا ، والتقيا معا . وبناء على هذا اللقاء ، دخل ملك ايران بخارا . وأمر بأن تكون الخطبة بإسمه وكذلك السكة ، وألزم ملك بخارا وأهلها أن يوفروا مؤنة الجيش الايرانى اليومية ، فى مقابل أن يمنع جنده من سلب ونهب أموال الناس ، وأن تدخل بخارا تحت حمايته ، وهكذا دخلت بلاد ماوراء النهر تحت قبضة نادر شاه وتحديدا من شرق وشمال شرق بخارا حتى سمرقند . وهكذا انتهى حكم ابو الفيض على خانية بخارا عمليا . فقد أصبح لايملك من مُلك بخارا إلا الاسم فقط وأصبحت السلطة الفعلية فى يد محمد حكيم بى اتاليق منغيت ، الذى لقب بالأمير الكبير ، بأمر من نادر شاه . وبعد عدة سنوات توفى محمد حكيم بى اتاليق سنة1156 هـ/1743 م[1].

وبعد وفاة محمد حكيم بى اتاليق منغيت ، عجز ابو الفيض عن ادارة شئون الدولة ، ورفع العديد من حكام الأقاليم عليه العصيان ، ولما عجز عن مواجتهم أرسل إلى نادر شاه يطلب المساعدة ، فأرسل إليه

[1] ميرزا شمس بخارايى – تاريخ بخارا , خوقند وكاشغر – تحقيق/ محمد اكبر عشيق – ص 50 – 53 . و بوريبوى احمدوف ، و آخرون – العرب والإسلام فى أوزبكستان – مراجعة نعمت الله ابراهيموف – ط 2 – ص 329 – بيروت – لبنان 1999 م.

نادر شاه محمد رحيم بى منغيت بن حكيم بى اتاليق ، الذى كان قد أخذه معه فى ركابه ، إلى بخارا ، فعينه أبو الفيض محل أبيه وجعله وزيرا ومستشارا له [1].

وإنتهى حكم الأسرة الاسترخانية بمقتل أبو الفيض خان[2] ، وارتفع الستار عن أسرة جديدة من الأوزبك ، حيث تأسست الدولة المنغيتيه على يد محمد رحيم خان ، وأحكمت هذه الأسرة قبضتها على أمر بخارا وحكومتها[3] ، وتلى محمد رحيم خان (1160 – 1172 هـ/ 1747 – 1758 م) على

---

[1] محمد سليم بن محمد رحيم – كشكول سليمى وتاريخ متقدمين ومتاخرين (1330 هـ) – باهتمام ملا عبد الكريم بن ملا عبد الرازق – ص 253 ، 254 . طبعة 1331 هـ .
و ميرزا شمس بخارايى – تاريخ بخارا , خوقند وكاشغر – تحقيق/ محمد اكبر عشيق – ص53 .
و السيد عبد المؤمن السيد أكرم – أضواء على تاريخ توران تركستان – ط 1 – ص 112 .
و بوريبوى احمدوف ، و آخرون – العرب والإسلام فى أوزبكستان – ط 2 – ص 329 .

[2] ظل محمد رحيم خان يمسك بزمام أمور خانية بخارا بعد تولى عبد المؤمن خان عرش أبيه لصغر سنه ، ثم خلع عبد المؤمن من حكم بخارا وتولى من بعده أبى الفايز عبيد الله سلطان ذى السنوات التسع ، وبالطبع كان شأنه شأن سلفه عبد المؤمن لا يملك من أمر إدارة شئون بلاده شيئا ، ثم تولى من بعده محمد رحيم خان عرش بخارا ولقب بالأمير الكبير .
بوريبوى احمدوف ، و آخرون – العرب والإسلام فى أوزبكستان – ط 2 – ص 330 .

[3] كانت ابنة محمد رحيم خان زوجة لعبد المؤمن ، وكانت هذه البنت تنقل لأبيها شدة كراهية زوجها له ، حيث كان عبد المؤمن يردد دائما أمام زوجته حين كان يهم لقطع أى نوع من الفاكهة بيده قوله إن شاء الله سأقطع رأس أبيك مثلما أقطع هذا , وعليه قرر محمد رحيم خان بعد أن انتهى من فتوحاته أن يتخلص منه ، وكان فى قصر محمد رحيم خان بئرا تسقى منه بساتين القصر ، فأمر محمد رحيم خان حارس البئر ، أن يلقى عبد المؤمن فى البئر إذا ما اقترب منه ، وبالفعل مر عبد المؤمن بجوار البئر بعد بضعة أيام ، فدفعه الحارس فيه ، فسقط فى البئر وغرق فيه ، وبعد عدة أيام عثر أعوانه على جثته ، ودفنوه بجوار أبيه فى بخارا ، وهكذا انتهى حكم الاسترخانيين فى بخارا ، وذلك بأن بايع أمراء وأعيان ومشايخ بخارا محمد رحيم خان على حكم بخارا فأصبح أميرا لها .
السيد عبد المؤمن السيد أكرم – أضواء على تاريخ توران تركستان – ط 1 – ص 117 .

عرش بخارا تسعة من أفرادها ، حتى باغت الروس آخر أمرائها سيد عالم وأجبروه أن يدخل تحت تبعيتهم سنة 1284 هـ/ 1868 م[1] .

الأمير نصر الله خان بن الأمير حيدر

تولى الأمير نصر الله بن حيدر عرش بخارا سنة 1242 هـ ، وهو الأمير الذى بعث إليه مبعوث الملك محمد شاه القارجارى ، وقد استهل الأمير نصر الله حكمه بقتل كل من اعترض على توليه عرش بخارا[2].ثم استولى على مدينة خوقند وقتل حاكمها محمد على خان وقتل جميع أسرته[3].

وقد حاولت روسيا فى عهده أن تعقد اتفاقيات صداقة وتفاهم معه[4] ، وأرسلت إلى بخارا بعثات سياسية وعلمية لتوطيد العلاقات بينهما ولكن دون جدوى ، فان سلاطين بخارا كان يعرف عنهم أنهم لايعترفون بسيادة أومودة لغيرهم سوى سلاطين االعثمانيين ومن بعدهم سلاطين آل قاجار لأنهم من بنى جنسهم وبعتبرون من أولاد عمهم[5] . فعقد معهم نصر الله علاقات قوية وتبادل معهم الرسل . ولم تقم بينهم أى خلافات سوى تلك التى تكون بسبب اختلاف المذهب . هذا غير استرقاق الايرانيين الذين يقعون فى أيدى البخاريين من جراء الحروب والغارات التى كان يشنها البخاريون على الايرانيين وكانت هذه المسألة من المسائل التى ناقشها المبعوث الخاص للدولة الايرانية مع أمير بخارا[6].

---

[1] ميرزا شمس بخارايى – تاريخ بخارا , خوقند وكاشغر – تحقيق/ محمد اكبر عشيق - ص 56 .
و استانلى لين پول – طبقات سلاطين اسلام – الترجمة الفارسية – چاپ دوم – ص 248 .

[2] السيد عبد المؤمن السيد أكرم – أضواء على تاريخ توران تركستان – ط 1 – ص 124 .
محمد سليم بن محمد رحيم –كشكول سليمى وتاريخ متقدمين ومتاخرين (1330 هـ) – ص 286 .

[3] السيد عبد المؤمن السيد أكرم – أضواء على تاريخ توران تركستان – ط 1 – ص 125 .
محمد سليم بن محمد رحيم –كشكول سليمى وتاريخ متقدمين ومتاخرين (1330 هـ) – ص 286 .

[4] السيد عبد المؤمن السيد أكرم – أضواء على تاريخ توران تركستان – ط 1 – ص 125 .
سفر نامه بخارا (عصر محمد شاه قاجار) – باهتمام حسن زمانى – ص 14 ، 15 من مقدمة المحقق .

[5] السيد عبد المؤمن السيد أكرم – أضواء على تاريخ توران تركستان – ط 1 – ص 126 .

[6] سفر نامه بخارا (عصر محمد شاه قاجار) – باهتمام حسن زمانى – ص 37 ، 38 .

توفى الأمير نصر الله سنة 1277 هـ ، وكان عمره ثلاثة وستين عاما ، وقد استمرت مدة حكمه خمسة وثلاثون عاما وبضعة أشهر[1].

رابعا : بمدينة بخارا

أما مدينة بخارا فقد أجمع المؤرخون والجغرافيون القدماء على وصف مدينة بخارى , بأنها مدينة من أعظم وأجل المدن[2], من فرط بهائها وجمالها , وأنهم لم يروا ولم يسمعوا فى الاسلام بمدينة أحسن من بخارى من الخارج , واصفين إياها بأنها مدينة متقنة , إذا ما اعتلى الانسان قلاعها وحصونها لن يقع بصره إلا على خضرة تتصل بلون السماء , وبأن قصورها تلوح كالكواكب العلوية بياضا و نورا , مستوية الأراضى , مُهنّدَمة كوجه المرآة , تشف على المدن كبرا , وتزهو على المحاسن نظرا , لا تضاهيها بلدة من بلاد ماوراء النهر فى فرجة أرجائها , وعمارة ضياعها ووفرة أشجارها وثمارها , وكثرة متنزهاتها ذات المساحات الواسعة [3] , وأنها قبة الإسلام ومركز العلم والفضل فى تلك النواحى , لذا أصبحت مقصد أهل العلم والعلماء , يقصدها القاصى والدانى ليدرس فى مدارسها ، على يد علمائها العظام , ولا عجب فى ذلك

[1] محمد سليم بن محمد رحيم – كشكول سليمى وتاريخ متقدمين ومتاخرين (1330 هـ) – ص 271 .

[2] شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى – معجم البلدان – المجلد الأول – ص 353 – بيروت 1977 م

و زكريا بن محمد بن محمود القزوينى – آثار البلاد وأخبار العباد – ص 362 – طبعة 1848 م .

[3] أبو القاسم بن حوقل النصيبى – صورة الأرض – ص 391 – بيروت – لبنان 1992 م .

والمسالك والممالك لنفس المؤلف – ص 345 – ليدن 1872 م .

الشريف الإدريسى – نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق – م 1 – ص493, 494 – القاهرة 2002 م.

, إذا ما علمنا أن اسمها مأخوذ من لفظة بخار بمعنى العلم[1] , لذا أطلقوا عليها لأزمان طويلة اسم بخارى الشريفة [2] .

ومدينة بخارا الآن هى إحدى المقاطعات المهمة فى دولة اوزبكستان [3], وعاصمتها مدينة بخارى , كما أنها تعد خامس مقاطعات دولة اوزبكستان ، من ناحية عدد السكان , ويبلغ عدد سكانها 263 ألف نسمة حسب احصاء عام 2009 م .

ويتألف نسيج سكانها ؛ من **التاجيك** الناطقين بالفارسية , و**الأوزبك** الذين يتحدثون اللغة التركية باللهجة الأوزبكية [1], يحتوى الجزء القديم منها على مساجد ومدارس أثرية هامة وعريقة , حتى أن منظمة اليونسكو قد أعلنتها موقع تراث عالمى [2].

---

[1] ذكر كل فيتالى نومكين و اندريه نيد فيتسكى فى كتاب بخارا أن بخارا تعد من أقدم مدن آسيا الوسطى حيث ورد ذكرها فى السجلات التاريخية الصينية وقد ذكر أن كلمة بخارا اشتقت من كلمة (بهارا) السنسكريتية وأنها تعنى الدير ، وأنها قد سميت بذلك بسبب معبد بوذى وجد هناك .
فيتالى نومكين (اعداد) واندريه نيد فيتسكى (تصنيف) – بخارى – الترجمة العربية (صلاح صلاح) – مراجعة (عايده خورى) – ط 1 – ص 21 – ابو ظبى 1995 م .

[2] سيد محمد على داعى الاسلام – فرهنگ نظام – ط 2 – م 1 – ص 609 – تهران 1362 هـ . ش
ياووز بهادر أوغلو (نيازى برنجى) – بخارى تحترق – الترجمة العربية (د/ عبد العزيز محمد عوض الله) – ط 1 – ص 18, 19 – القاهرة 2009 م

[3] أوزبكستان هي إحدى الجمهوريات الإسلامية ذات الطبيعة الفيدرالية ضمن الجمهوريات السوفيتية السابقة , حصلت على استقلالها عقب انهيار الإتحاد السوفيتي عام 1991 م , و هى تعد أكبر دولة من حيث عدد السكان ، تبلغ مساحتها حوالى 447.400 كم , وكل مقاطعاتها اسلامية , وعاصمتها مدينة طشقند , ومن أهم مدنها سمرقند . تحدها كازاخستان من الشمال والغرب , وتركمانستان من الجنوب وقرغيزيا وطاجكستان من الشرق , وتضم جمهورية أوزبكستان جمهورية قراقل باك , كما تضم أقاليم لها حكم ذاتي , يبلغ عددها تسعة أقاليم , منها أقاليم لها شهرة عريقة في تاريخ الإسلام , مثل بخاري وسمرقند و طشقند و خوارزم .
موسوعة ويكيديا 30 / 6 / 2015 م .https://ar.wikipedia.org/wiki

مدينة بخارا الموقع والنشأة

بخارا الآن :

تقع مدينة بخارا على المجرى الأدنى لنهر زرفشان جنوب شرق تركستان , وهى تعد حاليا إحدى محافظات جمهورية اوزبكستان , وعاصمة مقاطعة أو محافظة بخارا مدينة بخارا[3].

وهى تتكون من قسمين :

بخارا الجديدة التى استحدثها الروس و بها محطة السكك الحديديه التركستانية .

وبخارا القديمة التى تطوقها الحدائق والبساتين , وتمتلئ بالعديد من المساجد القديمة , وهى تعتبر نقطة التقاء طرق المواصلات التى تتجه إلى كل من مرو وسمرقند ومشهد وهرات , لذا فهى ذات أهمية تجارية كبرى , ويعد الحرير والقطن من محاصيلها الاساسية , كما أنها غنية بمعدن النحاس أيضا[4] .

ومدينة بخارا تقع على ارتفاع 220 متر فوق سطح البحر , على خط الطول 64 درجة وخط العرض 39 درجة شمال خط الاستواء [5].

بخارا قديما :

---

[1] كانت مدينة بخارا كبقية مدن آسيا الوسطى تنقسم إلى محلات أو أحياء ذات حكم ذاتى تقريبا تشمل كل منها مسجدا ومدرسة وكتاب ، وكان يجمع أهل كل محلة أو حى التجارة المشتركة والدين والخلفية العرقية .

فيتالى نومكين واندريه نيد فيتسكى – بخارى – الترجمة العربية (صلاح صلاح) – ط 1 – ص 13 ، 22 ، 23 .

[2] على أكبر نفيسى (ناظم الاطبا) – فرهنگ نفيسى – م 1 – ص 540 – طهران 1355 هـ.ش و موسوعة ويكيديا 29 / 5 / 2015 م .

و فيتالى نومكين و اندريه نيد فيتسكى – بخارى – الترجمة العربية (صلاح صلاح) – ط 1 – ص 3.

[3] ناظم الاطبا – فرهنگ نفيسى – م 1 – ص 540 .

وموسوعة ويكيديا 4 / 7 / 2012 م .

[4] على اكبر دهخدا – لغت نامه – نسخة الكترونية – مادة بخارا

[5] موسوعة ويكيديا 4 / 7 / 2015 م

كانت مدينة بخارى قديما تتبع اقليم الصغد الذى هو عبارة عن أراضى خصبة تقع بين نهرى جيون و سيحون , وذلك الإقليم يعتمد فى مياهه على نهرين أولهما نهر زرفشان ويسمى أيضا نهر السُغْد , ويقع على هذا النهر سمرقند وبخارى اللذان يعتبران من أجلِّ مدن هذا الاقليم , حيث كانت سمرقند تعد مركزه السياسى , بينما كانت بخارى تعد عاصمته الدينية , أما النهر الثانى فهو النهر المنساب نحو مدينتى كش ونسف [1] .

وقد وصفها الجغرافيون القدامى بقولهم : بأنها مدينة تقع على أرض مستوية , وأن أبنيتها من الخشب المشبك , ويحيط بهذه الأبنية من القصور والبساتين والمحال والطرق الممهدة والقرى المتصلة , سور بطول اثنى عشر فرسخاً فى مثلها (أى حوالى ست وثلاثين ميلا فى مثلها) , يجمع هذه القصور والأبنية والقرى والقصبة , فلا ترى فى خلال ذلك قفارا ولا خرابا , وداخل هذا السور سور آخر يحيط بالقصبة أى المدينة وما يتصل بها من قصور ومساكن ومحال وبساتين , طوله حوالى فرسخ فى مثله (أى حوالى ثلاثة أميال فى مثلها) , وفى داخل هذا السور مدينة يحيط بها سور حصين , وهذه المدينة لها قهندز أى حصن يتصل بها , وهو فى حجم مدينة صغيرة , فيه قلعة بها مسكن ولاة خراسان , والحبس و الخزانه , وله بابان : باب الريكستان وباب الجامع , وتحيط بهذه المدينة ربض أو ضاحية كبيرة , فيها أسواق المدينة , وفيها نهر السغد يشق محيط المدينة وأسواقها وأسوارها , ويسير بها إلى طواحين وضياع ومزارع , هذا إلى جانب أنهار أخرى[2] , ويوجد مسجد جامع فريد ليس له مثيل على باب الحصن [3].

---

[1] كى لسترنج – بلدان الخلافة الشرقية– ص 503 , 504 .

[2] يذكر بن حوقل أن مدينة بخارا وحصنها ليس فيهما ماء جار وذلك لارتفاعهما , وأن تلك الأنهار جميعها متشعبة من نهر السغد الجارى إليهم من سمرقند , وهذه الأنهار هى : نهر فشير ديزه , ونهر جوبار بكار , ونهر جوبار القواريريين , ونهر جوغشج , ونهر بيكند , ونهر نوكنده , ونهر الطاحونة , ونهر كشنه , ونهر رباح , ونهر ريكستان , ونهر زغار كنده . وهذه الأنهار جميعا تسقى آلاف البساتين , وأنها تطوف ببخارا وبجنانها , وتستقر على جانبى كل منهم الكثير من القصور والبساتين .

بن حوقل– صورة الأرض– ص 399 , 400 .

[3] بن حوقل – صورة الأرض – ص 398 , 399 .

وياقوت الحموى– معجم البلدان– م1– ص 353.

و كى لسترنج– بلدان الخلافة الشرقية– الترجمة العربية ص 504

وكانت بخارا تتكون من عدة مدن فى داخل سورها و خارجه , فأما التى فى داخله من المدن مدينة الطواويس و تُومُجكث وزَنْدَنَه ومَغْكَان وخُجَادَه وجميعهم فى داخل السور , وهى جميعا متقاربة فى المساحة والعمارة . أما التى فى خارجه فهى بِيكَنْد و فِرَبْر وكَرْمِينِيَه وخُدِيمَنْكَن وخَرْغَانْكَث و مَذْيَا مَخْكَث , وهذه المدن أيضا متقاربة فى المساحة والعمارة . أما مدينة الطواويس فإنها مدينة لها حصن , ومسجد جامع , و سوق ومجمع كبير يرتاده الناس من جميع أقطار ماوراء النهر فى وقت معلوم فى كل عام , وتصدر منها الثياب القطنية إلى كافة بلاد ما وراء النهر , وهى مدينة تكثر فيها المياه الجارية لذا فهى تتميز بخصوبة أراضيها ومن ثم تكثر فيها البساتين .

أما بالنسبة للمدن التى خارج السور , فإن مدينة كَرْمِينِيَه تعد أكبر من مدينة الطواويس وأعمر , وتفوقها فى عدد السكان , وفى خصوبة أراضيها , وهى تتكون من عدة قرى , وذات مزارع عديدة , أما مدينة خُدِيمَنْكَن فهى أكبر من كَرْمِينِيَه . وجميع المدن التى خارج أسوار بخارا متحاذية , إلا مدينة بِيكَنْد فإنها وحدها , وهى لها سور حصين ومسجد جامع أنيق البناء , محرابه مزخرف باسلوب فريد عن باقى مساجد ماوراء النهر , وهى بها حوالى ألف رباط . أما مدينة فِرَبْر فهى قريبة من نهر جيحون , وهى أيضا تتكون من عدة قرى ذات أراضى خصبة , وعامرة بالسكان[1] .

ومدينة بخارا لها سبعة أبواب من الحديد : باب يعرف بباب المدينة , وثان يعرف بباب نور , وثالث يعرف بباب حفره , أما الرابع فيعرف بباب الحديد , والخامس يعرف بباب القهندز , أما السادس فيسمى باب بنى أسد وهو باب مهر , والسابع يعرف بباب بنى سعد [2].

وكان يتفرع من محيط مدينة بخارا عدة طرق أو دروب وهم متوالين : درب الميدان وهو يتجه إلى خراسان , ثم درب ابراهيم , ويليه درب الرِّيُو , ثم درب المردقشة ودرب كلاباذ وهما يتجهما إلى نسف

و الأدريسى – نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق – م 1 – ص 493 , 494 .

[1] أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبه – المسالك والممالك – ص 25 – لندن 1889 م .
و أبى اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الأصطخرى – المسالك والممالك – تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحينى ومراجعة محمد شفيق غربال – ص 175 – القاهرة 2004 م .
و ابن حوقل – صورة الأرض – ص 403 .

[2] ابن حوقل – صورة الأرض – ص 399 .

وبلخ , ويلى درب كلاباذ درب النوبهار , ثم درب سمرقند وهو يتجه إلى سمرقند وسائر ما وراء النهر , ويليه درب فغاسكون , ثم درب الراميثَنِيَّة , ويليه درب حدشرون وهو يفضى إلى خوارزم , ثم يلى هذا الدرب درب غُشَج[1] .

نشأة مدينة بخارا :

كانت بخارا عند نشأتها عبارة عن بركة ومقصبة وغيضة ومرج , وكانت المياه التى تذوب على الجبال بولايات سمرقند تنزل فيجتمع الماء فيها بما يحمله من طمى , فتمهدت أرضها , وتكون ذلك النهر العظيم المسمى بالسغد , فاجتمع الناس من كل صوب وأقبل أناس شتى من التركستان إليها وأقاموا فيها , فازدهر ذلك المكان , وكانوا أول الأمر يعيشون فى الخيام والسرادقات , ثم بنوا العمائر والقصور على مر الأزمان , ثم اختاروا واحدا من بينهم يدعى ابروى ونصبوه أميرا عليهم , ولكنه سلك معهم مسلك الظلم بعد مدة , ففر أغنياؤهم إلى التركستان وبنوا شبه مدينة سموها حموكت , أما من بقى فى بخارا فقد أرسلوا رسولا إلى عظمائهم طالبين النجدة من ظلم وجور ابروى , فتوجه هؤلاء العظماء إلى ملك الترك وكان اسمه قراجورين ترك , واستنجدوا به , فأرسل ابنه شيركشور بجيش كبير إلى بخارا , قبض على ابروى فى بيكند وقيده , ثم أمر فملأوا جوالا بالزنابير وأدخلوه فيه حتى مات , وقد نالت بخارا اعجاب شيركشور فطلبها من والده واستأذنه فى البقاء فيها , فأجابه والده إلى طلبه ومنحه إياها , فأرسل شيركشور رسولا إلى حموكت لإعادة الذين كانوا قد هربوا من بخارا مع نسائهم وأطفالهم , وأصدر مرسوما باعتبار كل عائد من حموكت من خاصته , وبنى شيركشور مدينة بخارا , واستمرت مدة حكمه عشرين سنة بنى خلالها عدة قرى أخرى , وتوالى أبنائه وأحفاده على حكم بخارا [2], وكان ملوك بخارا يلقبون بلقب بخارا خداه[3] .

---

[1] الأصطخرى – المسالك والممالك – ص 171 , 172 .
و ابن حوقل – صورة الأرض – ص 399 .

[2] أبى بكر بن جعفر النرشحى – تاريخ بخارا – الترجمة العربية (د. أمين عبد المجيد بدوى – نصر الله مبشر الطرازى) – ط 3 – ص 18 – 21 – القاهرة 1993 م .

[3] بن خرداذبه – المسالك والممالك – ص 40 .

ومدينة بخارا كان يقال لها قديما نومجكت[1], ثم أطلق عليها اسم بخارا , واشتهرت بهذا الاسم [2], وكانت مدينة بخارا دائما ما تكون مقرا لخانات وملوك خراسان , لذا فإنها كانت دائما ما تتعرض إلى الحصار والتخريب , ولكنها كان دائما ما يعاد بناؤها فى مكانها الأول وعلى تخطيطها السابق الذى أنشئت عليه , فى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى .

وقد كانت بخارا فى عصر الكيانيين[3] تعد واحدة من الممالك الايرانية , ثم دخلت فيما بعد تحت سيطرة الاسكندر , وأصبحت جزءً من مملكة الباختريين[4] , وفى المائة الميلادية السادسة دخلت تحت سيطرة الأتراك , ثم دخلت تحت سيطرة الصينيون فى المائة السابعة[5].

ثم تم فتحها على يد قتيبة بن مسلم الباهلى سنة 705 م / 90 هـ أيام معاوية , ثم أصبحت تحت تصرف نواب الخلفاء الراشدين , وفى العام الألف الميلادى أصبحت ضمن أملاك آل سامان , فقد كانت

---

[1] بن حوقل – صورة الأرض – ص 398

[2] سيد محمد على داعى الاسلام – فرهنگ نظام – ط 2 – م 1 – ص 609

[3] الكيانيون : هم طائفة من ملوك الفرس من الطبقة الثانية , تبدأ أسماء ملوكهم بلفظ كى وأول شخص منهم جلس على العرش هو كيقباد وكانت دار ملكهم فى المدائن , وآخر ملوكهم اسكندر , وقد بلغ عدد ملوكهم عشرة ملوك فى طبقات ناصرى وتسعة فى زين الأخبار.

القاضى منهاج السراج الجوزجانى – طبقات ناصرى – ط 1 – ج 1 – الترجمة العربية (د. عفاف السيد زيدان) ص 262 – 272 – القاهرة 2013 م .

وأبى سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الگرديزى – زين الأخبار – ط 1 – الترجمة العربية (د. عفاف السيد زيدان) ص 57 – 63 – القاهرة 2006 م

[4] مملكة الباختريين هى إحدى الممالك القديمة المترامية الأطراف والتى كانت تشمل الجزء الشرقى من ايران كاملا وتصل حدودها فى الشمال حتى بلاد السغد ونهر آمو , ومن المشرق سيتى ومن الجنوب بلاد الهند وجبال الهند وكانت عاصمتها باخترى التى يقال لها الآن بلخ .

ناظم الاطباء – فرهنگ نفيسى – م 1 – ص 497 .

[5] النرشحى – تاريخ بخارى – الترجمة العربية – ط 3 – ص 9 .

و ناظم الاطباء – فرهنگ نفيسى – م 1 – ص 540

بخارا قاعدة للدولة السامانية التى قامت سنة 874 م , وكان أول أمرائها الذين تولوا حكم بخارا اسماعيل بن أحمد السامانى , وذلك من قبل نصر بن أحمد السامانى الذى كان يحكم سمرقند آنذاك , بناءً على طلب جماعة من علماء وأهل بخارا [1].

ثم دخلت تحت سطوة الدولة السلجوقية فى عام 1027 م , وقد حافظت بخارا على مكانتها كمركز للعلم والفضل حتى بداية القرن السابع الهجرى أى فى أوائل العصور الوسطى , ثم أدركها الغزو المغولى سنة 616 هـ / 1219 م فنهبت ودُمرت تماما , ولم تنهض من كبوتها هذه لمدة تزيد عن القرن , ثم استعادت شيئا من ازدهارها وبهائها فى عهد تيمورلنگ حين اتخذ سمرقند عاصمة له فى عام 762 هـ / 1383م .

ثم تعرضت بخارا إلى حروب ضروس وباتت مسرحا لصراعات عنيفة على عرشها ، ومحلا لخلافات وانشقاقات سادة قبائل الأوزبك بمختلف طوائفهم ، حين تعرضت آسيا الوسطى إلى غزو قبائل الأوزبك البدوية ، فتمزقت بخارا وضعف شأنها وتراجعت مكانتها بين أقرانها ، وباتت لقمة سائغة لأعدائها [2] .

ففى عام 884 هـ/ 1505 م , دخلت بخارا تحت سيطرة إحدى أسر الأوزبك الذين يلقبون بالشيبانيون [3], من سنة 916 إلى سنة 1006 هـ / 1510 إلى 1597 م , بقيادة زعيمهم الأوزبكى الأصل

[1] النرشحى – تاريخ بخارا – الترجمة العربية – ط 3 – ص 21
وأمين واصف بك – الفهرست – تحقيق أحمد ذكى باشا – ص 25 , 26 – القاهرة 1998 م
و ناظم الأطباء – فرهنگ نفيسى – ص 540

[2] فيتالى نومكين و اندريه نيد فيتسكى – بخارى – الترجمة العربية (صلاح صلاح)– ط1– ص10 .

[3] يرجع نسب الأوزبك إلى أوزبك خان تاسع الحكام الأوزبك فى أسرة جوجى خان المغولية ، وقد كان لأوزبك خان فضل كبير فى دخول قومه فى الاسلام ، وعليه انتسب قوم جوجى إلى أُزبك وقامت دولتهم على أنقاض دولة التيموريين فى عام 916 هـ / 1510 م ، على يد حفيدهم محمد شيبانى خان الذى أشتهر بلقب شاه بخت , الذى استولى على كافة أملاك الدولة التيمورية تقريبا ثم ضم إليها العديد من المناطق الأخرى وتوغل فى الأراضى الايرانية وهدد املاك الدولة الصفوية , حيث أصبحت لهم دولة

شيبانى محمد خان[1], الذى دخل فى حروب ضروس مع الدولة الصفوية , بسبب توجهات كل منهم السياسة والمذهبية المتناقضة ،كمعسكرين أحدهما سنى والآخر شيعى ، وقد واصل أحفاد شيبانى من بعده الصراع مع الدولة الصفوية حتى بعد وفاة الشاه اسماعيل الصفوى [1].

مترامية الأطراف عاصمتها سمرقند , شملت سمرقند وبخارا ، وطشقند وتركستان ، وخراسان وخوارزم ، وهراة وبلخ وبدخشان وجرجان . وقد استمرت حتى عام 1006 هـ / 1597 م ، وقد كان يتولى أمر بخارا من هذه الأسرة السلطان محمود أخو شيبانى خان ، وبعد وفاته ، عهد شيبانى بها إلى ابنه الأكبر محمد تيمور سلطان ,مضيفا له حكم سمرقند وكش وغيرها من المناطق , ثم تولاها فيما بعد عبيد الله خان بن محمود سلطان , وذلك بعد وفاة شيبانى خان ، واتخذها حاضرة له ، ثم عبدالله خان والذى كان لقبه ولى النعم سنة 963 هـ/ 1555 م .ثم عبد الله الأول ثم عبد اللطيف بن كوچكونجو , ثم نوروز أحمد بن سنجق ثم تلاه عبد الله الثانى بن اسكندر, ثم خلفه عبد المؤمن بن عبد الله , ثم پير محمد الثانى بن عبد الله.
ارمنيوس فامبرى – تاريخ بخارى – الترجمة العربية (د. أحمد محمود الساداتى) ص 295 – 317 ، 322 , 339 .

وميرزا شمس بخارايى – تاريخ بخارا , خوقند وكاشغر (در شرح حكمرانى امير حيدر در بخارا ، محمد على خان در خوقند وجهانگير خواجه در كاشغر) – مقدمه وتصحيح وتحقيق /محمد اكبر عشيق – ص 17 – 21 .

وعادل ارشادى فرد – فرهنگ واژگان تركى در زبان وادبيات فارسى – چاپ اول – ص 33 – تهران 79 .

و سيد على مترنيا – ايل ها وطايفه هاى عشايرى خراسان – چاپ اول – ص 32 – تهران 1369هـ.ش .

وسايتأهل بخارا على شبكة المعلومات الدولية .
http://www.hukam.net/family.php?fam=774

[1] أضفى محمد شيبانى خان على غزواته ضد الدولة الصفوية صبغة مذهبية , بصفتها دولة تعتنق المذهب الشيعى وقد خاض عدة مناوشات مع الدولة الصفوية كانت آخرها فى سنة 919 هـ / 1510 م التى

ثم دخلت تحت سيطرة الاستراخانيين[2]وأحفادهم فى عام 1600م , وهم من أصول أُزبكية أيضا[3].

لاقى فيها حتفه . ثم واصل عبيد الله خان غزوات الاوزبك ضد الدولة الصفوية فخاض ضدها سبع معارك تبادلا فيها النصر والهزيمة , ثم توفى بعد معركته الأخيرة سنة 964 هـ / 1539 م

ارمنيوس فامبرى – تاريخ بخارى – الترجمة العربية (د. أحمد محمود الساداتى) ص 323 – 336 .

[1] محمد سهيل طقوش (دكتور) – تاريخ الدولة الصفوية (فى ايران) (907 – 1148 هـ / 1501 – 1736 م) ط1 – ص 62 – 66 - بيروت لبنان 1430 هـ / 2009 م

[2] نسبة إلى مدينة استراخان الروسية إحدى مدن روسيا فى الكيان الفيدرالى الروسى , وهى من أقدم مدن حوض نهر الفولغا , وقد أسسها المغول كنقطة لجمع الضرائب من الروس , وهى ضمن 115 مدينة روسية ذات قيمة تاريخية , وكانت تمر من خلالها الطرق التجارية للعرب والفرس .

موسوعة ويكيديا 7 / 7 / 2015 م .

[3] تنحدر هذه الأسرة من القبيلة الذهبية المغولية (قبيلة جوجى) , وقد طردوا من أسترخان موطنهم الأصلى على يد الروس , فنزحوا إلى بلاد ما وراء النهر (اوزبكستان) وأقاموا بها , وأسس أول ملوكهم الذى يدعى قام باقى محمد (1599 – 1605 م) عماد دولتهم على أنقاض دولة الشيبانيين أصهارهم , إلا أنه لم يستطع أن يبسط سلطانه إلا على بخارا وسمرقند وفرغانه وبلخ , ثم نجح خليفته إمام قلى أن يوطد دعائم دولتهم , وضم إليه خوقند , ولكنها ما لبثت أن انفصلت عن دولتهم لتشكل خانية منفصلة سنة 1732 م , ثم تلتها مناطق اخرى فى الانفصال حين ضعفت الدولة فى عهد ملكهم عبد الفائز , ثم خضع خليفتيه محمد رحيم ودانى البى اتالك لوصاية المنگيتيين . وقد حكمت هذه الأسرة بخارا من سنة 1599 إلى 1785 م , ويبلغ عدد حكام هذه الأسرة عشرة حكام , هم باقى محمد , والى محمد , إمام قلى , نادر محمد , عبد العزيز , سبحان قلى , عبيد الله , ابو الفيض ، عبد الفائز , ومحمد رحيم منگيتٍ , ودانى البى اتالك , الذان حكما تحت وصاية المنگيتيين .

ارمنيوس فامبرى – تاريخ بخارى – الترجمة العربية – ص 361 – 385 ، 387 – 404 .

و بوريبوى احمدوف ، و زاهد الله منوروف – العرب والإسلام فى أوزبكستان – ط 2 – ص 323 – 327 .

و استانلى لين پول – طبقات سلاطين اسلام (با جداول تاريخى ونسب هاى ايشان) – چاپ دوم – ص 246.

ثم دخلت بخارا تحت سيطرة أسرة جديدة من الاوزبك وهم المنغيتيون أو المنكيتيون , والتى سوف يتصدى كتاب سفرنامه بخارا (عصر محمد شاه قاجار) لتأريخ عصر أحد أمرائها بالتفصيل , ألا وهو الأمير نصر الله , خامس أمرائها , وإلى العلاقات السياسة بين هذه الأسرة وبين الدولة القاجارية , والتى سوف يتعرض البحث لترجمته . وعلى الرغم من أنها قد ظلت تحت سيطرة هؤلاء الأمراء من تلك الأسرة , إلا أنها أصبحت فيما بعد , تُعد جزءً من ممتلكات الروس[1]، بعد أن دخل أمراؤها تحت سيطرة الروس سنة 1284هـ / 1868 م[2] .

خامسا : كتاب سفرنامه بخارا

يحظى كتاب سفر نامه بخارا بأهمية تجعله معتمداً بين كتب الرحلات ، ذلك لأنه عبارة عن تقرير كتب بخط يد مبعوث خاص ، أُرسل من قبل محمد شاه ، ملك الدولة القاجارية إلى بلاط بخارا ، الذى كان يعتليه الأمير نصر الله بن الأمير حيدر أحد أمراء الأسرة المنغيتية ، لإنجاز عدة مهام خاصة ، كان قد كلف بها من قبل دولته ، فكتب هذا التقرير أثناء أداء هذه المهمة ، ووصف فيه مسيرة رحلته ، مرحلة مرحلة بكل دقة[3]. هذا ناهيك عن وصف حالة كل مدينة نزل بها منذ خروجه من إيران ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، مما يدل على أنه لم يكن سفيراً عاديا ، فرحلته هذه تعتبر مصدرا تاريخيا هاما عن الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى لكافة المدن الايرانية التى نزل بها أثناء رحلته ، فى تلك الفترة الزمنية ، هذا فضلا عن شرح الوضع السياسى والعسكرى والاقتصادى لخانية بخارا فى تلك الحقبة ، وذلك لأنها سُجلت من قبل شاهد عيان على الأحداث ، مما يضفى على هذه الرحلة أهمية خاصة .

فقد تمت هذه الرحلة بالتحديد بين عامى 1259 – 1260 هجرية قمرية ، الموافق سنة 1843 – 1844 ميلادية ، حين كلف الأمير محمد شاه القاجارى سفيره بمهمة خاصة فى بلاد ماوراء النهر ،

و سايت أهل بخارا على شبكة المعلومات الدولية http://www.hukam.net/family.php?fam=774

[1] ناظم الاطباء – فرهنگ فارسى – ص 540 .

[2] استانلى لين پول – طبقات سلاطين اسلام – الترجمة الفارسية (عباس اقبال) – چاپ دوم – ص 248 .

[3] سفر نامه بخارا (عصر محمد شاه قاجار) – تحقيق حسين زمانى – ص 14 ، 15 مقدمة المحقق .

وبالتحديد فى بخارا ، التى كان يحكمها آنذاك الأمير المنغيتى نصر الله بن الأمير حيدر ، الملقب ببهادر خان المنغيتى ، فوصف ذلك السفير فى تقريره ، توجهات أمير بخارا ، الأمير نصر الله ناحية الدول الإنجليزية ، وعدم ثقته بمبعوثيها إليه .

وتكمن أهمية هذه الرحلة أيضا فى كونها ألقت الضوء على حجم العلاقات بين الدولة القاجارية وبلاد ما وراء النهر ، وبخارا على الأخص . وعلى الرغم من أنها مختصرة بعض الشئ ، إلا إنها نقلت لنا صورة جلية عن الخلافات التى نشبت بين ملوك خيوه وبخارا وخوقند ، وعن سوء العلاقات فيما بينهم . وتطلعهم إلى توطيد علاقات الصداقة مع الدولة القاجارية .

هذا فضلا عن أنها أمدتنا بمعلومات عن آداب وعادات أهل بخارا ، وألقت الضوء على المناصب العسكرية والمدنية المختلفة فى بلاطهم ، وأحاطتنا علما بالعملة الرائجة فى بخارا ، ومدى قوتها الاقتصادية فى هذا العصر . كما أمدتنا بمعلومات عن مراسم استقبال الرسل فى بخارا ، وعن هيئة ديوان مملكتها بدقة بالغة .

فنجد المؤلف يؤكد دوما على أنه سوف يسجل وقائع رحلته هذه بكل دقة ، فيقول مثلا عند دخوله إلى بخارا :

« وهذه هى تفاصيل قدومى إلى بخارى ، سوف يتم عرضها دون نقص أو زيادة » .

تقرير المؤلف عما يخص أقطار الدولة القاجارية التى مر بها

سوف نلمس أنه قد حرص على أن ينقل ما رآه من أوضاع سياسية أو اقتصادية أو أمنية فى البلاد التابعة للدولة القاجارية فيقول :

«كانت پلاشت التى تبعد ستة فراسخ هى المحطة الثانية ، فدخلنا إليها ، وكان الناس جميعا هناك يعيشون فى أمن وأمان وينشغلون بالدعاء بدوام الدولة » .

ثم نراه يقول فى موضع آخر ، حين دخل مدينة ايوان كى « إن الناس هناك يشتكون من أمير الأعلاف »، فى حين يذكر أنه عندما وصل إلى قشلاق «إن كافة الناس راضون عن المسئول الايلخانى».

بينما يذكر عن قرية نمك « إن أهلها كانوا يعيشون فى حالة فقر وقلق شديدين بسبب عجزهم عن تحمل أعباء النفقات الضرورية . وقد تحمل نفقات خليل خواجه فى تلك الليلة العبد لله ، ورفع عن الرعية هذه الأعباء ».

ويبدو من هذه الفقرة أيضا أن الرعية فى كل منزل نزل إليه ، كانوا يتحملون نفقة استضافته هو ومرافقوه . بينما يذكر فى موضع آخر ما يتعرض له الرعية من أحوال الفقر والفاقة فى ولاية أخرى فيقول :

« وقد كان المنزل التاسع هو دولت آباد التى كانت تبعد سبعة فراسخ ، فنزلنا ، ولما أتى أهل دولت آباد يشكون من الفقر والحاجة أعطيناهم بعض النفقات . وقد حمل العبد لله النفقات والمؤن التى تم وقفها ، بنفسه ، إلى الرعية ، فأخذوا يتضرعون بالدعاء بأن يدم الأمان لسلطنة وسطوة ملك الإسلام ، وبأن تكون أرواح العالمين فداه ».

ولعل هذه التصرفات النابعة منه تجاه الرعية فى بعض ولايات الدولة ، التى زارها خلال رحلته هذه ، تؤكد أنه لم يكن سفيرا عاديا ، وأنه كانت لديه صلاحيات خاصة .

هذا إلى جانب أنه ربما كان مكلفا أيضا باستطلاع وضع الجبهة الداخلية للدولة القاجارية ، والوقوف على مدى رضا الرعية عن القائمين على إدارة الدولة ، ونقل صورة صحيحة ودقيقة عن كافة أوضاع المملكة الداخلية ، إلى القادة القاجاريين . بما يوحى بأن الغرض من هذه الرحلة لم يكن فقط غرضا يختص بالدبلوماسية والعلاقات الخارجية للدولة فقط ، بل كان هدف الرحلة أوسع من ذلك .

مثال ذلك ما يذكره عن لاسجرد فمثلا حين نزل فى رباط فيها :

«ونزلنا فى رباط ، واستفسرنا عن أحوال الرعية . وكان الناس جميعاً راضون عن نواب سيف الله ميرزا ».

فلا يفوتنا هنا أن نذكر أن الأمير سيف الله ميرزا هذا هو أحد أبناء الملك فتحعليشاه .

ويقول أيضا فى الشأن الاقتصادى والسياسى

« وكان المنزل العاشر دامغان التى كانت تبعد ستة فراسخ ، وقد نصبنا خيمة على طرف بستان ونزلنا فيها وقد أصبح معروفاً من اعترافات الرعية أنهم يكنون كل الرضا والشكر إلى نواب سيف الله ميرزا ، ولكنهم يأتون بالشكوى من النائب والعقيد ، كما اشتكى الجند أيضاً شكوى عامة مفادها أننا جميعاً لم تصلنا رواتبنا ».

هذا فى حين نراه يعرج إلى المنزل التالى من رحلته ويغير خط سير الرحلة ، لكى يتقدم لإجراء مباحثات مع بعض القبائل والعشائر ، ليطلعهم على بعض أمور الدولة ، والتى ربما كانت أموراً سرية , حيث اكتفى بالإشارة إليها فى أثناء حديثه بأنه أطلعهم على جميع الوقائع إذ يقول :

« ثم وصلنا إلى المنزل الثانى عشر وهو بسطام التى كانت تبعد خمسة فراسخ , والسبب فى الذهاب إلى بسطام والتى كانت خارج الطريق هو أننا كان لدينا العديد من الأنفار من الأقوام والعشائر هناك , فأطلعناهم على جميع الوقائع , واستقبلناهم جميعا , وذهبنا من هناك بصعوبة بالغة . وقد توقفنا هناك يومين بسبب هطول الثلوج الشديد ، حيث تعذر الرحيل فى نفس اليوم . وقد كان الأهالى هناك يرضون أيضا عن صاحب المقام العالى سليمان خان ».

وفى موضع آخر نجده ينسق العلاقات الخارجية مع البعض فيقول :

«ثم تحركنا من هناك إلى المنزل الرابع عشر وهو يسمى ميامى وهو يبعد أربع فراسخ، وجاء صاحب المقام العالى محمد تقى خان رئيس العجم عند العبد لله ، وصارت الأمور هناك فى غاية التنسيق والترتيب» .

تقرير المؤلف عما أصاب بعض أبنية الدولة من تهدم وتخريب وما استحدث على بعضها الآخر من تجديد وتحديث :

ونراه أحيانا يحرص أن ينقل إلى القيادة السياسية ، ما يراه من الأمور التى تكون فى حاجة إلى تدخلهم لإصلاحها ، فيذكر هنا فى تقريره ، وضع رباط قديم ،كان الأهالى قد بنوه فى الزعفرانية ، فأصابته عوامل الضعف بسبب عدم صيانته على مر العصور ، فينصع بإعادة ترميمه فيقول فى هذا الشأن :

« ثم وصلنا إلى المنزل العشرين ، وهو منزل الزعفرانية الذى كان يبعد سبعة فراسخ ، وقد كان الأهل هناك مستريحى البال . وكانوا قد قاموا ببناء رباط هناك منذ العصور السالفة ، ليس له نظير فى القوة والمتانة والاتساع . وقد كاد أن يصيبه الخراب بسبب كثرة زواره ، وبفعل مرور الأعوام والعصور عليه ، وإذا لم يقدموا على إعادة تعميره فإنه سوف يخرب عن قريب ».

كما كان لا يتوانى عن الاشادة بأعمال رجالات الدولة ومآثرهم التى تعود على الدولة والرعية بالنفع ، فنجده يذكر فى أكثر من موضع ، الانجازات التى أنجزها بعض حكام ولايات الدولة فى ولايتهم فيقول على سبيل المثال :

« ثم تحركنا فجر الأربعاء غرة شهر ربيع التى كانت إيذانا بتحول الشمس إلى برج الحمل ، وعزمنا على التوجه إلى المنزل الثامن فى آهوان قشه التى كانت تبعد خمسة فراسخ ، وتوجهنا إلى القلعة الجديدة هناك

والتى قد أصبحت بفضل اهتمام السيد الجليل الكريم حاجى عالى المجد ، أعظم قبلة للأمم . وقد كان المرحوم شريفخان قد بناها ، بمساعيه وجهوده ..... وكانت آهوان قشه قد وصلت إلى درجة معقولة من العمران . (ص22) حيث كانوا قد وضعوا أساس المزارع والحدائق والبساتين ، فقد كان المرحوم شريف خان قد بذل جهداً كبيراً فى تلك المنطقة وجدَّ كثيراً للقيام بتلك الأعمال » .

ويشيد فى موضع آخر بأعمال أحد رجالات الدولة بقوله :

« وفى اليوم الثالث عشر تحركنا من هناك ووصلنا إلى رحمت آباد التى كانت على بعد سته فراسخ . وقد كان المرحوم شريف خان قد بنى هناك قلعة جميلة جدا وحمام وبستان وأبنية عديدة ، بلغت ثلاثين منزلا ، وعرادة مدفع , وقد خصصهم لإقامة مسئول كبير فى الجيش مع عدد من جند المدفعية (ص23) وذلك بغرض حفظ أمن الطرق والشوارع هناك . و تجرى هناك قناتان إحداهما عذبة والأخرى مالحة ؛ وهاتان القناتان المذكورتان قديمتان ولكنهما كانتا مخربتين ، ولكنهما صارتا عامرتين الآن بفضل جهود ومساعي جناب صاحب المجد والكرم ، أعظم قبلة سادة الأمم ، أدام الله مجده العالى ، فكثر الماء وجعلوا ما يزرعونه نفقة لعابرى السبيل والضيوف » .

وعلى ما يبدو يتضح أنه كان يحمل معه رسائل وأمتعة إلى بعض رجالات الدولة حيث يقول :

« ثم وصلنا إلى المنزل السادس عشر عباس آباد الذى كانت تبعد ستة فراسخ ، وفى أثناء الطريق وصل رسول سمو آصف الدولة ، حيث كان بحوزتى رسالة موجة إلى حضرة الأجل الأكرم قبلة الأمم دام مجده العالى ، فنقل إليه (الرسول) أنه قد تقرر دخول مائه وخمسين شخصاً من قبيلة تكه مرو فى خدمة جناب آصف الدولة » .

ويقول فى موضع آخر :

« وقد كان يرافقهم أُراض خان الذى كان كبيرهم وأبرزهم شخصية. وقد وصل عقب ذلك فارس من طرف حضرة جناب (ص 25) آصف الدولة . وكنت أحمل من قبل سالف الذكر عددً من السيوف إلى أُراض خان » .

وقائع الرحلة فى بخارا وما أورده المؤلف فى شأنها

ونجد المؤلف هنا لا يتخلى عن منهجه فى سرد وقائع الرحلة ، عندما وطئت قدماه بلادما وراء النهر ، فترصد عيناه كل ما يتصل بالأمور السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية وغيرها . فيدونها على الفور ، فنجده يصف مثلا الطريق من مرو إلى بخارا مرورا بچهار جوى فيذكر بالتفصيل كم بئر ماء فيقول :

« حملنا من مرو الماء والمؤن واتجهنا إلى بخارا . والمسافة من مرو إلى بخارا ستون فرسخا , وإلى چهار جوى (آمل سابقا) خمسة وأربعون فرسخا , ويوجد فى الطريق من مرو حتى چهار جوى أربعة آبار , ثلاثة آبار ماؤها مالح ومر , ينفع الدواب والمواشى , وواحدة حلوة . ويفصل بينها وبين الآبار الأخرى اثنتا عشر فرسخا وكان العلف قليلا . وبعد اجتياز المسافة المذكورة , وصلنا إلى چهار جوى . وكان يوجد هناك قلعة كبيرة جدا ولكنها كانت فى غاية التخريب » .

نقده لأمير بخارا الأمير نصر الله :

لم يفت المبعوث الخاص للدولة القاجارية أن يشير من بعيد ، حين تواتيه الفرصة ، إلى مدى ديكتاتورية أمير بخارا ، فنراه يصرح بذلك أكثر من مرة :

« وفى المساء جاء حسين خان بطريقة سرية إلى زيارتى ، وأرسلوا السكر والشاى إلى المنزل المبارك , وقد نقلوا أخبارى بالتفصيل , فأقاموا فى تلك الليلة مأدبة جميلة جدا . وكان الرسم يقضى بأنه لا يجوز لأهل بخارا زيارة أحد أو تفقد أحواله دون إذن الأمير,سواء كان من أهل الولاية أو غريبا عنها »

ويقول فى موضع آخر :

« وكانت أحوال وزيره قد بلغت أنه لم يكن لديه الحرية المطلقة لأن يتصرف بتلقائية مسبقة دون أن يتلقى مرسوما من سمو الأمير , بحيث كل ما يصدره (وهو يقصد هنا الأمير نصر الله) من أوامر هو ما ينفذ فقط » .

ويقول أيضا فى موضع ثالث :

« وخلال هذه المدة التى مكثت فيها هناك , لم يكن أعضاء المجلس يتحدثون مع بعضهم البعض , ولا مع العبد لله . فلم يكن لأحد القدرة على التحدث بسبب هيبة الأمير , ولم يكن لدى أى شخص المقدرة على أن يذهب إلى منزل شخص آخر , وفجأة علت أصوات الطبول ؛ ايذانا بدخول سمو الأمير . فدخل السادة الحضور أعضاء المجلس على الفور وألقوا التحية , فأجابهم الأمير , ثم تقدموا وقَبَلوا يد سمو الأمير » .

« فحذوت أنا العبد لله حذوهم فى كل شئ , فأظهروا لى الكثير من الاهتمام والعطف. وعندما مضى حوالى ربع الوقت المخصص لهذا الاجتماع , تفرق الناس , وذهب كل شخص (ص 46) إلى منزله » .

وصف مراسم استقبال السفراء فى بخارا :

ويصف مراسم استقبال السفراء خارج المدينة فيقول :

« وعند طلوع شمس اليوم السادس من شهر جمادى الأولى اتجهنا إلى بخارا , وكانت مسافة تلك الرحلة سبع فراسخ . وكان يوجد على بعد فرسخين من المدينة , حارس طريق مع رئيس , أى كبير حجاب القصر , كان سمو الأمير قد أرسلهم مع حوالى أربعين أو خمسين فارسا مجهزين لاستقبالى » .

وعند وصفة مراسم دخوله مدينة بخارا ، يذكر نادرة عنه ، وهى أنه أول من أدخل البغل إلى بخارا . حيث يقول :

«ولما كان الوقت ضيقا وقد انقضى معظم النهار , فقد استقر الرأى على إرجاء المقابلة إلى الغد . وهذه هى تفاصيل قدومى إلى بخارى سوف يتم عرضها دون نقص أو زيادة : رافقنا ثمانية عشر فارس راكب مجهزين فى كامل عدتهم وفى غاية الكمال والنظافة. ودخلنا عليهم بكل عزة وأبهة , بصحبة أربعة فرسان يتمنطقون بالأحزمة الذهبية والحراب , وحامل صارى العلم فى المقدمة . وأربعة عشر بغل يحملون صناديق الفرش والخيام الملونة. ولم يكن قد حمل بغل واحد إلى بخارا حتى اليوم , (ص 33) فلم يكن له أى وجود هناك . فأنا الذى اصطحبته معى إلى هناك , ولذلك كان عجيبا وغريبا بالنسبة للناس . حيث لا يمكن أن يسير فى طريق بخارا سوى الجياد والإبل ، أما غير ذلك من الدواب فلا يسمح لها بذلك .» .

ويستطرد فى وصف مراسم الاستقبال قائلا فيقول :

« ودخلنا جميعا بصحبة أربعة عشر نفرا ، يمتطون جمالا تسير فى صفوف مع سائر الجمال التى كانت قد استؤجرت ، مع خدم فى كامل عدتهم وعتادهم من بنادق وأحزمة جميلة » .

« وكان جميع أهالى بخارا قد جاءوا بجميع فئاتهم إلى ساحات الطرق والشوارع ليشهدوا مجئ سفير من الدولة الايرانية العلية » .

« وتحركنا حتى وصلنا إلى باب مقر بلاط منزل سمو الأمير وهناك حزموا السلاسل والجنازير بحيث يكون كل واحد من الأمراء مترجلا فى المكان المخصص له . أما أنا فقد ذهبت إلى جميع الأماكن راكبا , حتى

المقام الذى يترجل فيه الأمير نفسه وقاضى القضاة ورئيس الوزراء , ولم يكن لأحد القدرة على النزول والسير فى ذلك المكان سوى اولئك , ودخلنا مع الشقاول إلى ديوان الوزارة » .

وصف عادات أهل بخارا فى الضيافة

وقد وصف الأطعمة التى يقدمها أهل بخارا عند ضيافتهم له ، وذكر مسمى سفرة أهل بخارا « دستور خان » فأخذ يقول :

« وكان سمو الأمير قد هيأ ذلك المنزل (لضيافتنا) فى الحال.ورافقنا الحُضور إلى داخل المنزل ، وبعد دخولنا مباشرة,تم استدعاء خليل الخواجة للحضور , وبعد استقرارى فى المنزل,أحضروا الحلوى و الحلويات و مُدَّت السفرة التى كانوا يسمونها بلغتهم دستور خان , ووضعوا عليها ما ينبغى أن يكون من الحلويات والخبز,وأحضروا عدة أقماع من السكر وكمية من الشاى من عند سمو الأمير » .

« وبعد انتهاء هذا المجلس استضافونى فى مَقّر مستشار الدولة لشئون القصر الذى كان على درجة وزير . وكان مَقّر الوزير يجاور مَقّر سمو الأمير , وأحضروا الحلوى والشاى والغذاء على سبيل التكريم . وبعد نصف ساعة , توجهنا إلى المنزل لننزل ضيوفا على مستشار الدولة لشئون القصر , الذى قرر إعطائنا نفقاتنا , فجاء الممثل الشخصى له وسأل ما قيمة نفقاتكم , من وجهة نظركم وما هو تكلفة اليوم كله نقدا , فأجبته قائلا هناك فرق بين المال والصدقة المباركة من قبلة العالم والعالمين روحنا فداه , ونحن نوجه عناية الأمير أننا لسنا بحاجة إلى الأموال , وكل ما تطلبونه من أموال منا فهو متوفر لدينا , ولكن عندما نكون ضيوف سمو الأمير , فهم يرغبون أن تكون أقواتنا وأموالنا تبن وشعير. فأعطونا نفقاتنا يوما بيوم ولن نكون بحاجة إلى أموال نقدية , وبعد التردد على المكان لعدة أيام , أصدروا قرارا بشأن ميزانية النفقات» .

ولم يفته أن يذكر شيئا عن شيم أهل بخارا فقال :

« فإن الأوضاع والظروف ومروءة وسلوك ولباس وأكل وشرب وجلوس وقيام أهل الأزبك ، لا تجعلهم يتدخلون مطلقا فى شأن سائر الولايات الأخرى , وذلك بسبب ما لديهم من أسلوب عجيب وآداب غريبة .» .

وصف ديوان وزارة أمير بخارا :

ونجده يصف ديوان الوزارة وصفا دقيقا جميلا يدل على هيبة بلاط بخارا ، وهيبة أمير بخارا فيقول :

« كانت مساحة ديوان الوزارة كبيرة جداً , حيث بلغ حوالى اثنا عشر ذراعاً فى الطول وسبعة أذرع فى العرض , وكان مفروشا بالحصير (المصنوع من القصب) , فأصبح اللون الأبيض يغطى مساحة قدرها ستة أو سبعة أذرع , وكان الأمير يجلس بمفرده دون حراسة » .

«دخلت الحجرة وسلمت بصوت مرتفع . فرد سمو الأمير التحية , وأشاروا إلىَّ فجلست فى مكان ظاهر , على بعد ذراع ونصف تقريبا من الأمير . وبعد انتهاء مراسم الاستقبال الرسمية , أمسكت الأمر المبارك لمطاع الدنيا بيدى , وقبلته » .

تحرى المبعوث الايرانى عن الوضع العسكرى والأمنى لبخارا من مصادر غير حكومية

مما يؤكد أن مؤلف كتاب سفر نامه بخارا لم يكن سفيرا عاديا وأن رحلته هذه لم تقتصر على تحسين العلاقات بين البلدين وحل المسائل العالقة بينهما ، كموضوع الأسرى الايرانيين ، وموضوع تحرير القس الانجليزى يوسف وولف من سجن أمير بخارا ، وهى الاغراض المعلنة لهذه الزيارة ، نجده يرتكب عملا غير مفهوم ، حين خرج أمير بخارا إلى سمرقند بجيوشه للاستيلاء عليها وتوطيد دعائم ملكه فيها ، وقد كان الأمير يتكتم على مجريات الأمور هناك تكتما شديدا . وعلى الرغم من أن وزير أمير بخارا كان يقدم يوميا إلى مبعوث الملك محمد شاه ، بيانا يوضح فيه النجاحات التى استطاع أمير بخارا أن يحققها فى هذا الشأن ، نجده يسعى إلى التحرى عن مجريات الأمور من وجهة أخرى ، ويسعى لأن يطلع على أخبار الأمير من طريق آخر ، حتى أنه قد تباهى بأنه لديه أخبارا عن هذا الشأن أفضل مما لدى الوزير نفسه ، فنراه يقول فى كتابه :

« وفى هذه الأثناء كان الوزير (ص 45) يرسل إلىَّ أنا العبد لله يوميا بياناً مفاده إنهم فتحوا خجند و تاشكند « طشقند » , ولكن كان لدى العبد لله أخبارا أفضل منهم ، لأنه كان هناك تاجرا كان قد تعرف على العبد لله وكان يبلغنى بالأخبار يوميا . حتى إننى قد نما إلى علمى يوم دخوله إلى مدينة بخارا مع عبد الصمد خان النائب ، فى الخفاء ؛ وقد علمت أنه يُكن فى صدره غضبا من سمو الأمير . وكان يأتى إلى العبد لله ، بيانا بأحوال خجند وبسائر الأخبار الأخرى . وقد كنت على علم تام بمن هم أنصار سمو الأمير ، وأيهم الخائن » .

وصف وضع أموال ديوان بخارا ومصادر تمويل حشد الجيوش

ألقى الكتاب الضوء على أموال ديوان بخارا وعلى اسلوب تمويل حشد قوات الجيش البخارى وقوام جيشها ، فأمدنا بمعلومات عن تفاصيل الأمور المالية حيث بين أن أموال الدولة وأملاكها مقسمة إلى نصفين ، نصف كامل لديوان الدولة ، والنصف الآخر من أموال الرعية ، أما النصف الخاص بالديوان فهو يؤول إلى سادة وأمراء الأسرة المنغيتية ، ولا يعطون منه دينارا واحدا إلى الديوان . أما أملاك أعيان الرعية فإنهم يعطونها إلى الأمير. فيقول فى هذا الشأن وقد عنون هذه المعلومات بالعنوان الآتى :

« **تفاصيل موارد الأموال الديوانيه (الحكومية) ومصادر تمويل حشد القوات البخارية** » ويقول فى هذا التقرير :

«أما تفاصيل ثروة الجهاز المالى للديوان الحكومى للدولة ، ومصادر تمويل حشد الحملات العسكرية فهى تتشكل على النحو التالى : فأما بالنسبة لأموال الديوان الحكومى وأملاك وعقارات بخارا ، فإن نصفها بالكامل يقع بحوزة الدولة أى الأسرة الحاكمة ، أما النصف الآخر من الأموال فهو بيد الرعية . فأما النصف الذى فى حوزتهم ، نصفه يدخل فى ذمة سادة جوبار المالية ، وهم لا يعطون منه دينارا لأموال الديوان ، وتفصيل ذلك هو ما يلى : »

« كان الأمير شاهمراد بيگ فى العصر القديم قد نَذَّر بسبب ما كان قد ألم به من مرض ، أن يكون نصف ايرادات كل ما يقع فى نطاق حكم الملك ، يكون نصف ذلك من سادات جوبار .وقد التزم جميع سلاطين بخارا بهذا الأمر منذ ذلك التاريخ وحتى الآن ، ولم يسع أحد قط إلى مخالفة ذلك ، ولن يسعوا إلى ذلك . أما أملاك أثرياء الرعية فإنهم يعطونها إلى الملك ، وقد بلغت جميعها مائة وخمسين ألف تومان عراقى .»

« أما ميزانية الجيش فإنهم يقترضونها من تجار المملكة والرعية ، حين يخرج الجيش فى مهمة حربية ، ثم يعيدونها إليهم مرة أخرى ، وهذه الأموال تسمى جعل پولى ».

ثم يلفت الانتباه إلى قوام جند جيش بخارا ، فيذكر أنه يتألف من أفراد محل ثقة ، وأنه قد بلغ عددهم حوالى عشرون ألف جندى .

ويقول فى هذا :

« أما بالنسبة إلى جيش بخارا فإنى على ثقة مما قد تقصيتُ عنه من خلال أُناس أُوقن من صدقهم وهو كالآتى : أن تعداده يبلغ حوالى عشرين ألف جندى , هذا سوى الجيش الذى كانوا قد حشدوه فيما

سبق من الولايات , وهذا (الجيش) كانوا أحيانا يمدونهم به وأحيانا أخرى يضنون به , ويبلغ عدد أولئك حوالى ثلاثة آلاف جندى , وهؤلاء يخرجون عند الحاجة فقط . وتفصيل الثلاثة آلاف جندى الذين يأخذونهم من الولايات كالآتى : من مدينة شهر سبز ستمائة نفر , ومن شبرقان و بلخ و ميمنه و اندخوى و سريل ده نو ألفين وأربعمائة نفر .»

أما **مصادر تمويل جيش بخارا** فيذكر عنها :

« أما بالنسبة لمصادر تمويل حشد قوات الجيش ، فإن الملك كان إذا أراد أن يقوم بحملة عسكرية إلى جهة ما ، فقد كان لا يجد فى الخزانه أموال ، لينفق منها على حملته العسكرية، فكانوا يقترضون من تجار المملكة ، ثم يردوها إليهم فيما بعد ، فإذا كان التجار لديهم رغبة فى ذلك أعطوا ، وإذا لم يكن لديهم رغبة ضنوا عليه ، ولم يكن هذا الأمر يشكل مصدرا للنزاع والجدال أو الضغينة والعداوة بالنسبة للملك . وقد أرادوا أن يذهب العبد لله بالأموال إلى أطراف خجند ، فبخل عليهم التجار ، ولم يتفاعلوا معهم فى القصة . »

«أما إذا أصيب الجيش فى ناحية ما بحدث طارئ ، فحينئذ يقترض الملك الأموال النقدية من الرعية ، وتلك الأموال يسمونها دود پولى وجل پولى (جعل پولى)[1] ، وفى هذه الحالة يتفق معهم أن يقترضها لمدة عشر سنوات أو خمسة عشر سنه . »

ويقول عن هذه الأموال التى تسمى جعل پولى :

« وكان كلما أراد أن يتجه بالجيوش نحو هذا المكان ويأخذ ما يحتاجه من أموال , يقوم أهل بخارا بإعطائه أموال على سبيل القرض وكانوا يطلقون على هذا المال اسم جعل پولى . » .

سياسة أمير بخارا تجاه الانجليز ومحاولات المبعوث الايرانى اقناع الأمير بالعدول عنها

كان الأمير نصر الله يرى أن الانجليز قد جاءوا إلى بلاده لتخريبها فنقل وجهة نظره هذه إلى المبعوث الايرانى :

« إنكم ليس لديكم خبر أن هؤلاء قد عقدوا النية على تخريب مملكتى .» . وقد شرح ذلك بالتفصيل على النحو التالى :

[1] هذه المصطلحات جميعها تعنى اقتراض الدولة من الناس حين الضرورة . سفر نامه بخارا ص 91 .

« لقد كان السادة الانجليز قد جاءوا إلى هنا من قبل . وكانوا دائما ما يثيرون حفيظة ملك خوقند ويحرضونه على عداوتنا , وقد حرصت فترة من الزمن على تبادل الرسل والرسائل مع ملك اركنج حتى لا يحرضونه على عداوتنا , وقد تعهدوا بأن كل ما تفرضونه من ضرائب سوف نؤديها , وأخذوا خريطة حدود الولاية وجعلوا المهندسين يحددون معابر وطرق بخارا , و أخذوا أدوات صانع الأختام ونقشوا عليها اسم كل شخص يفكر فى مزاولة أى عمل لديهم » .

« وقد نُهى هؤلاء عدة مرات عن ارتكاب هذه المخالفات , فاعترضوا على توجيه اللوم لهم ومنعهم ، فكان لابد أن يحبسوا ، ويُوجه النصح والإرشاد لهم , حتى يكفوا عن أعمالهم , وعندما غادروا , تمادوا فى ارتكاب الأعمال المشينة والطائشة , فقد كانوا فى غفلة من الأساس . » .

وقد حاول المبعوث الايرانى أن يُبدد توجسات الأمير نصر الله تجاه الانجليز فقال له :

« لن أقول إننى أختلف مع ما قاله سمو الأمير , ولكن فيما يخص موضوع مهندسى الولاية فإن القاعدة تقتضى أن يذهبوا إلى كل الأماكن ويرسموا خرائط جميع الولايات ويعينوا حدود تلك الأماكن ؛ وعلاوة على هذا فقد حملوا أشياء من الأعلاف الصحراوية , وأخذوه معهم إلى ولايتهم . وبما أن سمو الأمير ليس لديه معلومات عن أحوال هؤلاء , فقد بدا هذا الأمر غريبا من وجهة نظرهم . ومن المحتمل أنهم كانوا لا يزالون يرسمون منذ زمن بعيد , خرائط عديدة لبخارا , وقد حملوها إلى ولاياتهم , ولكنهم لم يظهروا شيئا منها .» .

« أما بالنسبة لموضوع السعى فى تخريب ولاية بخارا , فهذه الفقرة لا يمكن التسليم بها, لأنه عندما اتحدت الدولة الايرانية العلية مع الدولة الانجليزية البهية , لم ترتكب عملا ضد رغبة الدولة العلية , وإذا ما تم وصف الإتحاد الذي بين الدولة العلية وسمو الأمير بأنه لماً للشمل , فإن هذا يتنافى مع العقل , لأننى أرى أنه صدر ممن يكنون نوايا سيئة تجاه بخارا وتجاه منطقة نفوذ سمو الأمير , ويسعون لتأجيج الخلاف. » .

وقد تناقشا كثيرا فى هذا الأمر دون جدوى ، حيث كان الأمير نصر الله يصر على موقفه تجاه الانجليز ، حيث كان سلاطين بخارا منذ القدم يرفضون التعاون مطلقا مع الدول الأوربية ، وكانوا لا يعترفون لهم بسيادة أو مودة.

حروب أمير بخارا مع كل من أمير خوقند و سمرقند

وقد أشار المبعوث الايرانى فى تقريره عن رحلته إلى كل ما وقع من أحداث حربية أثناء زيارته إلى بخارا ، فقال فى هذا الشأن :

« تحرك سمو الأمير فى الصباح الباكر إلى سمرقند , وقد استغرقت الفترة منذ مجيئي حتى ذهاب الأمير إلى سمرقند حوالى ثمانية أيام . » .

ثم **يتعرض لشأن خوقند** ، ويعرض مدى ظلم الأمير لأهلها ، واعتدائه عليهم فيقول :

« وقد كان لدى سمو الأمير مسئول يتولى أمر ايصال الرسائل بين الامير وباقى الجهات , فولاه حكم خوقند وجعل تحت إمرته خمسة آلاف نفر . فاستطاع أن يضم بقية المدن التابعة لخوقند إلى الممالك التى تقع تحت سيطرته , وكان حاجى شير عليخان فى ذلك الوقت حاكما لخوقند , وهو من بنى أعمام محمد عليخان . وكان قد هرب فيما سبق خوفا من محمد عليخان واندس بين أفراد قبيلة ختا قبچاق تارة فى العلن وتارة فى الخفاء ؛ وبعد مقتل محمد عليخان , تغاضى عن أمر حكم ابراهيم پروانچى حوالى ثلاثة أو أربعة أشهر . وعندما شرع سمو الأمير فى تخريب خوقند ونواحيها , لا سيما وأن ابراهيم پروانچى قد خالف الأعراف القانونية , فكان لا مفر من أن يجتمع أهالى قبيلة ختا قبچاق والمناطق التابعة لخوقند وشرعوا فى الاتصال بحاجى شير عليخان وتحركوا مجتمعين وأتوا إلى خوقند » .

« علم ابراهيم پروانچى بهذه التحركات , وعندما رأى أن أهل خوقند جميعا لا يريدونه , وأن بخارا تبعد بمقدار مسيرة عشرين يوما , مما يؤخر وصول الإمدادات . وجد أنه لا مفر من الفرار باختياره وأن يأتى إلى بخارا » .

« وحتى يحقق حاجى شير عليخان الاستقلال والاستقرار التام داخل خوقند , قتلوا كل من وجدوهم من أقارب الأمير فى ولايات خوقند وخجند وتاشكند وكافة نواحيها ».

« وقد استقرت الأحوال هناك لمدة عامين لحاجى شير عليخان . وكان سمو الأمير قد ذهب إلى سمرقند خلال تلك الفترة , وقد كان لحاجى شير عليخان ابن مجنون , كان على خلاف مع والده , فنشب نزاع بين الابن والأب فى مدينة خوقند . وكان قد اتخذ لنفسه لقب پسر مير عالم (ابن الأمير العالم) اسما شخصيا له , واشتهر بين قبائل الختاقبچاق به. وقد أراد أن يغتنم فرصة اضطراب الأسواق بسبب تعرضها للسرقة , فحرض خمسة آلاف شخص من كاشغر من أهالى ختاقبچاق , بالإضافة إلى حوالى مائة ألف شخص من أفراد عشيرته , على السير إلى مشارف خوقند » .

« فرأى ابن حاجى شير عليخان أنه ليس لديه القدرة على المقاومة , فآثر الهرب بنفسه إلى سمرقند , وجاء عدة أشخاص من أعيان خجند إلى سمو الأمير وكلفوه بالذهاب إلى خوقند . (ص 43) فأخذ سمو الأمير يعد العدة لخوقند , وكان ابن أمير عالم قد أغار على أطراف خوقند , فقامت حرب ضروس بينه وبين حاجى شير عليخان , انتهت بهزيمة حاجى شير عليخان وسقوطه أسيرا فى قبضة ابن أمير عالم , ودخلت خوقند تحت سيطرة ابن أمير عالم , فاتجه سمو الأمير مع أعيان خجند برفقة ثلاثة آلاف شخص إلى خجند .».

« وكان أهالى خوقند قد أصيبوا بأضرار شديدة من قبل سمو الأمير , لما عانوه على يديه من قتل ونهب شديدين , فجاء أهل (خوقند) جميعا إلى ابن أمير عالم وقالوا له إذا أتى سمو الأمير فسوف تتكرر تلك الحكاية السابقة , ولن تكونوا سعداء عند مجيئه , أطلقوا صراح حاجى شير عليخان . » .

الوضع الاقتصادى فى بخارا فى ذلك الوقت

أشار المؤلف إلى العملة الرائجة فى بخارا وإلى وضعها الاقتصادى وهبوط قيمتها الاقتصادية ، والوضع الاقتصادى بصفة عامة حينئذ ، وعن المساعدات الانسانية التى كانت تقدمها الدولة القاجارية إلى أهالى بخارا . فيشير المؤلف إلى عُملة بخارا فى معرض حديثه عن موارد الدولة فى ناحية من نواحى بخارا فيقول :

« وكان عرض النهر حوالى فرسخ واحد , وقد سرنا من هناك إلى قره كول أى حوالى ست فراسخ . ونزلنا هناك , وقراكول تعد من جملة نواحى بخارا الكبيرة . فالموارد التى وصلت من قراكول فى عام , إلى سمو الأمير كانت ثلاثين ألف طلا[1] أى حوالى أربعين ألف تومان . » .

ثم يتحدث عن قيمة هذه العملة فيقول :

« فقد استقرت قيمة عملتهم على أن أصبح الدخل يساوى المنصرف ، وبناء عليه أصبحت مواردهم لا تكفى مصروفاتهم ، فكان لا يوجد فى خزانة الملك تومان واحد ، حيث رآهم العبد لله بنفسه وهم يحملون مختلف الكتب بمختلف درجاتها و شيلانهم ونسخ القرآن إلى السوق ويبيعونها » .

أما عن المساعدات الانسانية التى قدمتها الدولة القاجارية إلى بخارا فيقول :

[1] طلا : هى عملة من عملات بخارا وهى تساوى تومان ونصف التومان . (المترجم)

« حتى إننى كنت أحمل بعض الاحتياجات التى كان زعيم الخلق ، أقدس الملوك روحنا فداه ، قد تعطف بها إلى سمو الأمير ، فكانوا يحملون السلع الضرورية إلى الأسواق بصفة دورية ويبيعونها بأسعار أقل من قيمتها الحقيقية ، فيستهلكون جميع السلع . ».

وخلاصة القول أن هذا الكتاب قد أرخ لفترة زيارة المبعوث الايرانى تأريخا سياسيا وعسكريا وإداريا معتمدا ، وألقى الضوء على علاقات أمير بخارا بالولايات المجاورة له ، وبين مدى التناحر والتشاحن بين أفراد الأوزبك ، وتصارعهم على السلطة ، مما أعطى للكتاب أهمية قصوى ، بسبب ما أورده المؤلف بالرحلة من أحداث ، لم يتطرق إليها غيره فى مصادر أخرى عن الأمير نصر الله ، فى رحلاتهم ، فجميع من أرخوا لهذه الفترة شكوا من عدم توافر المعلومات عن تلك الحقبة .

الخاتمة

مما لاشك فيه أن مؤلف هذا الكتاب وإن كانت شخصيته مجهولة ومبهمة قد أعطى صورة واضحة وجلية عن تاريخ بخارا تحت حكم الأسرة المنغيتية / المنگيتية , وأمدنا بمعلومات فى غاية الأهمية عن شعوب تلك المنطقة , وألقى الضوء على أحوالهم السياسية والاقتصادية والعسكرية , وحدد لنا بدقة إتجاهات سياستهم الخارجية مع الدول الأوربية التى كانت تسعى دوما لإقامة علاقات دبلوماسية ناجحة وقوية معهم , وكيف كان لإيران دور كبير فى هذا .

وأن هذا السفير الذى قام بهذه الرحلة لم يكن سفيرا عاديا بل كان سفيرا فوق العادة وشخصية هامة فى بلاط القاجاريين , لديه صفات مخابراتية وعين ثاقبة واعية , ترصد كل ما حولها من أمور هامة وتوثقه , حيث يحرص على إستقاء معلوماته من مصادرها , مما يدلل على مدى أهمية هذا السفير فى البلاط القاجارى , وأهمية الغرض من هذه الرحلة .

وإن هذه الرحلة الهامة لم يكن الغرض منها فقط إقامة علاقات ود وصداقة مع بخارا , ولم تكن أيضا لتسوية موضوع الأسرى أو الرقيق الايرانيين , أو حتى تحرير القس اليونانى يوسف ولف بل إن هذه الرحلة كانت لها أغراض خفية , ألا وهى جمع أكبر كم من المعلومات الدقيقة عن إمارة بخارا , والوقوف على أدق أحوالها السياسية الداخلية والخارجية , والعسكرية , بل والاقتصادية والاجتماعية بالتفصيل , ودراستها جيدا لاستخدامها فيما بعد .

فقد كان كاتب هذه الرحلة يشير دائما إلى كم المعلومات القيمة التى جمعها عن بخارا ويؤكد على صدقها , وإنه قد استقاها من مصادرها , وينبه دوما إلى أنها تقارير خاصة تكتب لإطلاع ملك الدولة القاجارية عليها .

ولعل قيام الشاه الايرانى ناصر الدين شاه القاجارى , خليفة الشاه محمد شاه القاجارى بتوجيه حملة , فى عام 1277هـ / 1860م , لتأديب قبائل تركمان التكة الذين كانوا يهاجمون دولته بين الحين والاخر , وأسرهم لبعض رعايا الدولة الايرانية , ثم بيعهم لأهل بخارا وخيوه , ونية قائد حملته المسير إلى إمارة بخارا والاستيلاء عليها , إذا نجح فى القضاء على تركمان التكة , ولكنه لم يتمكن من تحقيق مقصده ومبتغاه , وخسر الحرب أمام تركمان التكة , وأسر التكة الكثير من جند ناصر الدين شاه , لهى خير دليل على الغرض الأساسى من هذه الرحلة .

فقد صور لنا كاتب هذا الكتاب حياة أهل بخارا بصورة دقيقة فعلا , أطلعتنا بكل صدق على أحوالهم فى تلك الحقبة من كافة النواحى .

ونظرا لأهمية المعلومات التى وردت فى هذا الكتاب عن بخارا , بل والتى كانت فى غاية الأهمية , فقد آثرت أن أترجم متنه إلى اللغة العربية , وأن أضيفها إلى هذا البحث , حتى يستطيع الدارسون الافادة به فى رسائل أو أبحاث أخرى . والله ولى التوفيق .

سادسا الترجمة العربية لكتاب

« سفرنامهٔ بخارا »

ترجمة كتاب

« سفرنامهٔ بخارا »

(ص**19**) الحمد الله على جزيل الآية وجميل لعمائه والصلاة والسلام على نبيته وآلة .

مادام سفراء فى البلاد سارياً و احكام السلاطين فى الأقطار جارياً.

وبعد , عندما طلعت شمس سلطنة وخلافة هذه الدولة الخالدة من مكمن الغيب وسطعت آيات الرفاهية والراحة , وسعى أولياء الدولة إلى إدارة الملك فى إستمالة القلوب وبسط العدل وإفاضة الجود على أقطار الممالك , وجرت أحكام السلطنة فى أطراف وأكناف الولاية , وكافة أركان الدولة من فرط الحزم والحذر فأقامت جسور المحبة والترابط , واستحكمت وقويت كل شوكة يكون منبعها العقل والكياسة وقواعد المراودة.

لقد كان الملوك يمتلكون الدنيا باقتدار كامل , ولجأوا إلى هذه الدولة العلية , وانشغل كل واحد من أمراء العصر أصحاب الغلبة والقوة بمهمة المحافظة على الحدود , وطلب العون والمدد من هذه الدولة البهية . ومن جملة هؤلاء أمير بخارى[1] الذى كان أميراً قوياً وجسوراً , والذى كان قد أرسى قواعد الحكم

([1]) يقصد هنا الأمير نصر الله بن الأمير حيدر المنغيتى (المنكيتى) أمير بخارا (1242 - 1277 هـ) الذى تمت فى عهدة هذه الرحلة , وكان الأمير نصر الله قد اخذ يتبادل السفراء مع جيرانه من الأمراء والملوك , بعد توليه إمارة بخارا مباشرة لتوطيد العلاقات معهم , وكان ملك ايران حينئذ محمد شاه قاجار

واستعاد أمر المحافظة على حدود الدولة العلية وسمع وصية العدالة وتوطيد السلطنة من كافة النواحى , فطلب الاتحاد والتعاون وأبدى الرغبة فى مد جسور الصداقة والثقة , وذلك بإرسال سفراء المحبة والوفاء و بإهداء التحف و تقديم الهدايا .

(ص20) ومن بداية الدولة الناهضة فإنها كانت تعين كل عام سفيرا فى بلاط الخلافة , كما أخذت توفد كل شهر أمير من بلاط السلطنة , حتى صار معلوما لدى أولياء الدولة القاهرة أن يعترفوا بأن أمر تمسكه وتأهبه للعمل بمقولة أن الصداقة قرينة الصدق وأن توحيد المذهب ورعاية الدين وحمايته أمر ضرورى.

ومنذ فترة تم إرسال سيد خليل , الذى كان أحد الأمراء الأجلاء فى بخارا , بعدة مطالب إلى البلاط المبارك , فعمل على ترسيخ و توطيد أسس الإخلاص والتميز . فقرر نوايا المودة المطلوبة. وقد كان العبد لله هو من كلفوه بمقابلته من بين مستخدمي هذه الدولة العلية وأرباب العظمة البهية .

من بين من حرص الأمير نصر الله على توطيد العلاقات معه , فأرسل إلى ملك ايران رسوله الذى كان يدعى قابل بك قرلق , اذ كانت هناك أمور تستحق المناقشة بين الطرفين كان على رأسها موضوع الأسرى الايرانيين لدى أهل بخارا , والذى كان يجعل ملك ايران غاضبا على أهل بخارا , حتى أنه خاطب رسول أمير بخارا غاضبا بأنه يتعجب من جرأه حكومة بخارا وشعبها على ارسال ممثلين لهم إلى ايران على الرغم من انهم فقراء يهاجمون أهالى ايران ويسرقونهم وينهبونهم , ثم يأسرون بعضهم ويبيعونهم , فرد عليه قل بيك جغتاى , ممثل اسطنبول الذى كان يحضر هذا اللقاء , بأن من يقوم بعمليات السلب والنهب والخطف هذه هم قطاع الطريق من التركمان وأن أهل بخارا يشترون الايرانيين بدافع الشفقة وأنهم يحسنون معاملتهم وتربيتهم وتعليمهم حتى يصلوا إلى أعلى المراتب فى الدولة فيصبح منهم الوزير والحاكم . فرضى الشاه وأظهر اطمئنانه , وتحسنت العلاقات ورد الملك محمد شاه السفارة بأخرى فكانت هذه الرحلة التى ستكشف الكثير عن فترة حكم الأمير نصر الله اقتصاديا وسياسيا و عسكريا .

محمد سليم بن محمد رحيم – كشكول سليمى وتاريخ متقدمين ومتاخرين (1330 هـ) – باهتمام ملا عبد الكريم عبد الرازق – ص 268 ، 269 . طبعة 1331 هـ . =

= والسيد عبد المؤمن السيد أكرم – أضواء على تاريخ توران تركستان – تقديم الأستاذ أحمد جمال – ط 1 – ص 126 – مكه المكرمه – 1395 هـ . (المترجم)

ولهذا السبب كان من الضرورى تسجيل الوقائع التى تمت منذ يوم التحرك من دار الخلافة حتى العودة لتقديمها لأولياء الدولة , ولذلك فهاهى : تحركنا يوم الثلاثاء الموافق 23 صفر المظفر المقابل لسنة توشقان ئيل[1] من دار الخلافة ودخلنا زاوية حضرت عبد العظيم المقدسة علية التحية والتسليم . وقد كان هناك عشرة أو خمسة عشر فرد من حجاج بخارا برفقة خليل خواجة فى الزاوية المقدسة , وقد تم استضافتهم مع أصدقائهم ومريديهم فى منزلين , ونالوا العطف والرأفة , وقد سروا لهذه التحية سرورا بالغا.

كانت پلاشت التى تبعد ستة فراسخ هى المحطة الثانية فدخلنا إليها . وكان الناس جميعاً هناك يعيشون فى أمن وأمان وينشغلون بالدعاء بدوام الدولة .

وقد كانت ايوان كى[2] والتى تبعد هى أيضا ستة فراسخ هى المنزل الثالث فدخلناه , والناس هناك يشكون من أمير الأعلاف . وكان المنزل الرابع قشلاق[3] التى كانت تبعد خمسة فراسخ ونصف . وكان كافة الناس هناك راضون عن المسئول الايلخانى . ثم دخلنا المحطة الخامسة وقد كانت قرية نمك التى تبعد سبعة فراسخ , ويذكر أن أهلها كانوا يعيشون فى حالة فقر وقلق شديدين بسبب عجزهم عن تحمل أعباء (ص21) النفقات الضرورية . وقد تحمل نفقات خليل خواجه فى تلك الليلة العبد لله , ورفع عن الرعايا هذه الأعباء وكان المنزل السادس لاسجرد[4] التى تقع على بعد سبعة راسخ .

---

(1) توشقان ئيل العام الرابع من الأعوام التركية وهو يقابل عام 1259 هـ . ق .

(2) ايوان كى منطقة تابعة لدماوند يسكنها حوالى 3000 نسمة . دهخدا – لغت نامه – مادة ايوان كى – نسخة الكترونية . (المترجم)

(3) قشلاق : هى قرية صغيرة كانت تضم حوالى مائة منزل , وهم يطلقون عليها هذا الاسم نسبة إلى القلعة التى بها , وهى ذات أرض سبخة وجرداء .

هنرى دى كوليبوف دى بلو كويللى – التركمان بين الماضى والحاضر – الترجمة العربية (د/ عبد العزيز محمد عوض الله) – ص 49 – القاهرة 2001 م . (المترجم)

(4) لاسجرد : اسم منطقة تقع على جانب طريق تهران المؤدى إلى سمنان بين حيدر آباد ومهدى قليخان , وهى مدينة يحيط بها سور يبلغ طوله مائتى متر وارتفاعه عشرون مترا والبيوت تقع فى داخل هذا السور , و هم يطلقون عليها أيضا باك قلعة أى القلعة الطاهرة نسبة إلى الزينات البيضاء التى توجد على العمود المصنوع من الطين والذى يرى بطول حوائط السور , وهى يوجد بها مصدرا للمياه يغطى احتياجات سكان القرية , كما يوجد بها مسجد صغير فى مدخل السور يلفت النظر بجمال طرازه المعمارى . ومن

ونزلنا فى رباط , واستفسرنا عن أحوال الرعية . وكان الناس جميعًا يرضون عن نواب سيف الله ميرزا .

ودخلنا المنزل السابع الذى كان يقع على بعد ست فراسخ , ونزلنا فى رباط نواب سيف الله ميرزا , وقد كان نواب الأمير المكلفين بخدمته لم يصلوا بعد , ولكن رأينا الناس فى غاية الرضا عنة .

وقد توقفنا هنا يوم واحد بسبب فقر موكب خليل خواجه , ورآنا حضرة السيد حاجى ميرزا عسكرى السمنانى . فاستضاف العبد الله وخليل خواجه على مأدبتى الغذاء والعشاء. وقد كان قد تقدم فى البداية برجاء بأن يستضيفنا جميعنا فى منزلة ولكننا رفضنا .

ثم تحركنا فجر الأربعاء غرة شهر ربيع التى كانت إيذانا بتحول الشمس إلى برج الحمل, وعزمنا على التوجه إلى المنزل الثامن فى آهوان قشه التى كانت تبعد خمسة فراسخ, وتوجهنا إلى القلعة الجديدة هناك والتى قد أصبحت بفضل اهتمام السيد الجليل الكريم حاجى[1] عالى المجد , أعظم قبلة للأمم . وقد كان المرحوم شريفخان قد بناها , بمساعيه وجهوده .

أهم محاصيل لاسجرد الرمان الذى يتميز بكبر حجمه وبحباته التى تخلو من النوى ومن ثم بطعمه الذيذ . دهخدا – لغتنامه – نسخه الكترونيه مادة : لاسجرد .

وهنرى دى كوليبوف دى بلو كويللى – التركمان بين الماضى والحاضر – الترجمة العربية – ص 50 , 51 . (المترجم)

(1) هو حاجى ميرزا آقاسى (ميرزا عباس ايروانى) رئيس وزراء محمد شاه القاجارى (1250-1264 هـ) وقد ظل يشغل هذا المنصب حتى نهاية سلطنة محمد شاه . وعلى الرغم من أنه قد عرف عنه أن أغلب آراءه لم تكن صائبة وأنه كان يخطئ فى أغلب الأمور , الا أنه اهتم فى أيام وزارته بتعزيز وتقوية ترسانة أسلحة بلاده والنهوض بها , وذلك بشراء أحدث الأسلحة فى عصره من المدافع والذخيرة , حتى ضمت مخازن الأسلحة ألف مدفع .

أعلام وتوضحات المحقق ص 86 .

وعباس اقبال – تاريخ ايران بعد الاسلام – الترجمة العربية (د. محمد علاء الدين منصور) – ص 799 – القاهرة 1989 م .

ومحمد حسن اعتماد السلطنه – صدر التواريخ – چاپ دوم – ص 152 – 184 – تهران 1357 هـ.ش (المترجم)

أما بالنسبة إلى تقويم ميرزا محمد تقى المنجم الهراتى فقد كان قد بقى على بدء تحويله إلى الغروب ساعتان وعشرون دقيقة . وكما هو معروف فى السفر فقد نظمنا مأدبة من الحلويات والمأكولات والأطعمة والفواكه , وأحضرنا أدوات مثل السكاكين والخناجر المرصعة والأحزمة الذهبية و الفضية , ونظمنا المجلس فى الصحراء , فتحير خليل خواجه , إذ إنه فى الصحراء ووسط الطريق , كيف أوصلوا هذا القدر من الفواكه والحلويات والأمتعة .

وبعد تناول الحلويات والأطعمة و الأشربة أعطينا كل ما تبقى إلى أصحاب (مريدى) خليل خواجه مع كل ما أتيح من عملات بسيطة وكانت آهوان قشه قد وصلت إلى درجة معقولة من العمران . (ص22) حيث كانوا قد وضعوا أساس المزارع والحدائق والبساتين , فقد كان المرحوم شريف خان قد بذل جهداً كبيراً فى تلك المنطقة وجدَّ كثيراً للقيام بتلك الأعمال .

ثم تم التحرك من دار الخلافة , وقد عزمت على التكفل بمصاريف سفر خليل الخواجه , لعله يستطيع أن يتمكن من أخذ كل ما يلزمه من المؤن أثناء السفر , دون زيادة أو نقصان , وتكفى لصرف النفقات الأخرى . لهذا فقد كان الخواجه المذكور ومريديه ضيوفًا علىَّ فى وجبتى الغذاء والعشاء أثناء الطريق من دار الخلافة إلى ارض اقدس «مشهد»[1] كما ساعدت كل المؤن التى كانوا قد أخذوها , على استقرار الأمور بالنسبة لهم , وكذلك بالنسبة للميرزا محمد تقى المنجم . وقد كان المنزل التاسع هو دولت آباد التى كانت تبعد سبعة فراسخ , فنزلنا , ولما أتى أهل دولت آباد يشكون من الفقر والحاجة أعطيناهم بعض النفقات . وقد حمل العبد لله النفقات والمؤن التى تم وقفها بنفسه , إلى الرعايا , فأخذوا يتضرعون بالدعاء بأن يديم الأمان لسلطنة وسطوة ملك الإسلام , وبأن تكون أرواح العالمين فداه .

وكان المنزل العاشر دامغان التى كانت تبعد ستة فراسخ , وقد نصبنا خيمة على طرف بستان ونزلنا فيها وقد أصبح معروفاً من اعترافات الرعية أنهم يكنون كل الرضا والشكر إلى نواب سيف الله ميرزا , ولكنهم يأتون بالشكوى من النائب والعقيد , كما اشتكى الجند أيضاً شكوى عامة مفادها أننا جميعاً لم تصلنا رواتبنا .

([1]) عبر المؤلف فى النص الفارسى عن مدينة مشهد بعبارة ارض اقدس وهى يطلق عليها هذا الاسم لوجود قبر الامام موسى الرضا فيها.

حسين عميد (دكتور) – فرهنگ فارسى – ص 81 – چاپ طهران 1389 هـ.ش (المترجم) .

ثم وصلنا إلى المنزل الحادى عشر فى قرية ملاكه التى كانت تبعد سبعة فراسخ ونصف وكان الأهل هناك راضين عن حاكمهم . ثم وصلنا إلى المنزل الثانى عشر وهو بسطام التى كانت تبعد خمسة فراسخ , والسبب فى الذهاب إلى بسطام والتى كانت خارج الطريق هو أننا كان لدينا العديد من الأنفار من الأقوام والعشائر هناك , فأطلعناهم على جميع الوقائع , واستقبلناهم جميعا , وذهبنا من هناك بصعوبة بالغة . وقد توقفنا هناك يومين بسبب هطول الثلوج الشديد , حيث تعذر الرحيل فى نفس اليوم . وقد كان الأهالى هناك يرضون أيضا عن صاحب المقام العالى سليمان خان .

وفى اليوم الثالث عشر تحركنا من هناك ووصلنا إلى رحمت آباد التى كانت على بعد ست فراسخ . وقد كان المرحوم شريف خان قد بنى هناك قلعة جميلة جدا وحمام وبستان وأبنية عديدة , بلغت ثلاثين منزلا , وعرادة مدفع , وقد خصصهم لإقامة مسئول كبير (صاحب منصب) مع عدد من جند المدفعية (ص23) وذلك بغرض حفظ أمن الطرق والشوارع هناك . و تجرى هناك قناتان إحداهما عذبة والأخرى مالحة ؛ وهاتان القناتان المذكورتان قديمتان ولكنهما كانتا مخربتين , ولكنهما صارتا عامرتين الآن بفضل جهود ومساعي جناب صاحب المجد والكرم , أعظم قبلة سادة الأمم , أدام الله مجده العالى , فكثر الماء وجعلوا ما يزرعونه نفقة لعابرى السبيل والضيوف .

ثم تحركنا من هناك إلى المنزل الرابع عشر وهو يسمى ميامى وهو يبعد أربع فراسخ, وجاء صاحب المقام العالى محمد تقى خان رئيس العجم عند العبد لله , وصارت الأمور هناك فى غاية التنسيق والترتيب .

ووصلنا إلى المنزل الخامس عشر وهو ميانده شت التى كانت تبعد ستة فراسخ , وقد كانوا قد بنوا قلعة وقناة جيدة فى مكان مناسب , ولكن قناتهم لم تكتمل حتى الآن , وقد كان هناك عربة مدفعية بصحبة حيدر بيك وكيل المدفعية مع عدد من جند المدفعية وقد كانوا قد جلبوا المؤن من جموع المترددين من أجل البيع والشراء , وذلك من عهدة ما يحتاجه المترددين , حيث كانوا يرعون ستين عشيرة .

ثم وصلنا إلى المنزل السادس عشر عباس آباد الذى كان يبعد ستة فراسخ , وفى أثناء الطريق وصل رسول سمو آصف الدولة , حيث كان بحوزتى رسالة موجة إلى حضرة الأجل الأكرم قبلة الأمم دام مجده

العالى , فنقل إليه (الرسول) أنه قد تقرر دخول مائه وخمسين شخصاً من قبيلة تكه[1] مرو فى خدمة جناب آصف الدولة .

ثم دخلنا من هناك إلى المنزل السابع عشر وهو مزينان[1] وقد كان على بعد سبعة فراسخ, وكان الناس هناك فى غاية الطمأنينة بسبب فضيلة التصدق من قِبَلْ قِبلة العالم والشعوب الذى نفتديه بأرواحنا .

([1]) قبيلة تكه هى طائفة من طوائف التركمان , لا تتوفر معلومات دقيقة عن تاريخ حياتهم أو وطنهم الأصلى , ولكن كل ما يعرف عنهم أنهم بدءوا ينالوا شهرة فى آواخر عصر الصفويين حين نقلهم حكام الصفويين فيما بعد إلى اتك أو إلى أطراف الجبال و منطقة آخال , ولا يعرف بالتحديد التاريخ الذى استقروا فيه فى آخال هل هو بعد مقتل نادر شاه أم فى عصر عادلشاه . ولكن المؤكد أنهم قد بدءوا يتوافدون على خراسان تدريجيا , وأنهم كانوا يعيشون على أطراف حدود ايران , وكانوا يثيرون بعض القلاقل على الحدود الايرانية . ثم بدءوا يتدفقون داخل الحدود الايرانية فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى . ثم غادر آخال مجموعة من أفراد التكه وتوغلوا حوالى فرسخ فى شمال سرخس وسكنوا فى قلعة قديمة هناك . وكان مجموع عدد سكان آخال من قبيلة تكه يبلغ حوالى 30000 أسرة , أما تكه مرو فقد كان يبلغ عددهم حوالى 50000 أسرة . وقبيلة التكه تنقسم إلى عدة فصائل مثل اوتميش و تقتامش و اوتامش وتتفرع من هذه الفصائل فروع أخرى , وكل قبيلة من قبائل التكة تختار رئيسها بنفسها , وهم مترابطون فيما بينهم ترابطا شديدا , ولا يوجد عندهم فرق بين رئيس القبيلة وراعى الغنم فيها وكل فرد من أفراد القبيلة له الحق فى يحضر اجتماعات رئيس القبيلة ويدلى برأيه بكل حرية . وجميعهم من المسلمين وينتسبون إلى المذهب السنى . وكانوا يشتغلون بالزراعة والتجارة , وقد كانت تجارة بيع الأسرى إلى إمارتى خيوه وبخارى تعد من أهم أنواع التجارة التى يشتغلون فيها .

د.على اكبر نفيسى (ناظم الاطباء) – فرهنگ نفيسى – جلد دوم – ص 950 – كتاب فروشى خيام 2535 هـ.ش

وامين گلى – تاريخ سياسى واجتماعى تركمن ها – ص 213 – 215 – چاپ اول – چاپخانه مهارت 1366 هـ.ش (المترجم)

و هنرى دى كولييوف دى بلو كويللى – التركمان بين الماضى والحاضر – الترجمة العربية – ص 88 – 117 .

ثم دخلنا المنزل الثامن عشر مُهر الذى كان يبعد ثمانية فراسخ , ولم يكن يجرى به حديث سوى ترديد الدعاء للدولة القاهرة .ثم دخلنا إلى المنزل التاسع عشر سبزاور الذى كان يبعد سبعة فراسخ , وقد كان هذا المكان على مقربة من مكان ملك الملوك وأمير الأمراء العظام حسين خان , حاكم تلك المنطقة , وقد أقبل علينا فى منتهى العزة والاحترام وشملنا برعايته لمدة يوم واحد .

ومن دار الخلافة إلى سبزاور وفى كل مكان نزلنا به , رأينا قلاعًا محكمة وقنواتٍ جارية وآبارًا ثابتة وآثارًا بديعة قوية , وقد كان ذلك كله من طالع (ص24) النصر لمطلع ملك ملوك الإسلام الملجأ والملاذ , خلد الله ملكه وحسَّن اهتمام جناب الأجل الأعظم دام مجده . وكانت الطرق والشوارع آمنه ومُطمئِنه , إلى درجة أنه صار من المألوف أن يتحرك إنسان وحيدا وبمفرده مع الآلاف والألوف من (أبناء) وطنه , فإنه سوف يصل صحيحا وسالما إلى زيارته المقصودة . وقد ظل هذا الاسم حسن السمعة بفضل منّة الله تعالى الواسعة , موجباً لطمأنينة العباد , ولرفاهية البلاد على مر العصور فى هذه الدولة , خالدة الذكر . ووجد عموم الخلائق قبلّة يحرصون على زيارتها , ومن ثم يرددون الدعاء لها فى ذلك العصر , بسبب فيض عطائه الواسع . ثم وصلنا إلى المنزل العشرين , وهو منزل الزعفرانية الذى كان يبعد سبعة فراسخ , وقد كان الأهل هناك مستريحى البال . وكانوا قد قاموا ببناء رباط هناك منذ العصور السالفة , ليس له نظير فى القوة والمتانة والاتساع . وقد كاد أن يصيبه الخراب بسبب كثرة زواره وبفعل مرور الأعوام والعصور عليه , وإذا لم يقدموا على إعادة تعميره فلسوف يُخرب عن قريب .

ثم أدركنا المنزل الحادى والعشرين حسين آباد الذى كان على مسافة ثمانية فراسخ , وقد ركنا[2] للراحة بسبب كثرة الهواء وشدة الرفاهية الزائدة عن الحد . ثم انتقلنا[3] من هناك إلى نيشابور التى كانت تبعد خمسة فراسخ , ونزلنا فى استراحة خارج المدينة و قام الأمير محمد وليخان ابن أخ آصف الدولة وأحد

([1]) مزينان أو مازينان : هى قرية صغيرة عبارة عن أرض سهلية كثيرة الماء والخيرات ويوجد بها الكثير من الآثار الاسلامية التى ترجع إلى العصر الاسلامى .

هنرى دى كوليبوف دى بلو كويللى – التركمان بين الماضى والحاضر – الترجمة العربية – ص 59 .

([2]) أورد المؤلف هنا الفعل بصيغة المفرد الغائب (به آسايش گذشت) . (المترجم) .

([3]) وكذلك ورد الفعل أيضا بصيغة المفرد الغائب , فى حين انتهت الجملة الأخيرة المكملة لما سبق بإيراد فعل بصيغة جمع المتكلمين , فترجمت بصيغة الجمع لتتفق مع سياق الحديث . (المترجم) .

الأمراء العظام الذى كان حاكما هناك باستضافتنا لمدة يوم . وقد كان الأهالى هناك فى غاية الرضا عن الحاكم حتى صار حديث كل من يمر عبر طريق كدخداى , من فرط سلوكه اللائق مع الرعية .

وقد قال لى خليل خواجه : إن الرئيس محمد وليخان يرغب فى منحى أنا العبد لله عدد من حبات الفيروز , فاطلب , فأبدى العبد لله توافق رغبته مع ما طُرح عليه , فأرسلوا خمسة عشر حبة من الفيروز اللائقة به , وقد رآنا أشرف القضاة القاضى وأصر بشدة على استضافتنا , لكننا لم نتمكن من تلبية دعوة القاضى .

وقد كان المنزل الثالث والعشرون هو قدمگاه[1] التى كانت تبعد خمسة فراسخ , وقد نزلنا فى منزل للقوافل , وقد كنا قد رأينا فى وسط الطريق قبل الوصول إلى المنزل , كبار قوم منطقة مرو وساروق وسالار (سالور)[2] الذين كانوا يديرون بلاطها بمساعدة ملك التجار. وقد كان يرافقهم أراض خان الذى كان

([1]) قدمگاه : هى قرية تقع فى الهضبة التى تقبع على أطراف جبال البرز وهى تضم مائتى منزلا, ويقول شعبها أنهم من أحفاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم , وفوق الهضبة يوجد جامع ذو ثمانية زوايا وقبة واحدة , وفى الطرف الأيسر من مدخل الجامع يوجد حجر مدفون فى الحائط , ويوجد عليه أثر لقدمين غليظتين لاشكل محدد لهما والذين يأتون إلى قدمگاه من الناس يمسحون رؤوسهم ووجوههم فى الحجر لأجل تقديس الامام رضا .

هنرى دى كولييوف دى بلو كويللى – التركمان بين الماضى والحاضر – الترجمة العربية – ص 65 .

([2]) تعد قبيلة سالور (سالر) من أقدم قبائل التركمان وأهمها , نظرا لشجاعة أفرادها وبأسهم فى الحروب , ولتفوقها عن غيرها من القبائل فى كثرة عدد افرادها . ثم انخفض عددهم بسبب كثرة الحروب التى كانوا يخوضونها . وقد سكنت قبيلة السالور منطقة اتك وآخال فى آواخر عهد الصفويين , ثم بدءوا يتوافدون تدريجيا على خراسان بعد وفاة نادر شاه حتى بلغوا حدود نهر تجن فى عهد الملك فتح على شاه , وقد دخل عباس ميرزا نائب السلطنه فى نزاع طويل معهم , فسار إليهم واستأصل شأفتهم فى سرخس فى الثانى عشر من جمادى الثانى سنة 1248 هـ . ق , وأسر عدد كبير منهم و حملهم إلى مشهد . وفى عام 1298 كان يسكن منهم مرو حوالى أربعة آلاف شخص فقط , وألفين كانوا يسكنون منطقة مرغاب بالقرب من هرات . وقبيلة سالور لها فروع عدة منها على سبيل المثال يلواج وتشمل ياش وتيش وسقر واردوقوجه , وقهرمان وتشمل علم وگرجيكلى وبى بلاغى , وآنه بولاغى وتشمل يادشى وبخارا وباقشت لوره وتيمور .

كبيرهم وأبرزهم شخصية. وقد وصل عقب ذلك فارس من طرف حضرة جناب (ص 25) آصف الدولة . وكنت أحمل من قبل سالف الذكر عددً من السيوف إلى أراض خان . ثم مضوا من هناك إلى قدمگاه وقد كان الأهالى هناك أغلبهم من السادة وأهل الصلاح . وقد ذكروا أنه فى أيام بيگ خان أمير بخارا السابق , وقع أهل هذه المنطقة صرعى للسيف وجرحى للرماح والسهام , وأن من تبقى منهم تم نهبهم وأسرهم وترحيلهم إلى بخارا [1]. أما العدد القليل الذى كان قد تبقى منا فقد توالدوا وتناسلوا حتى صاروا

امين گلى – تاريخ سياسى واجتماعى تركمن ها – ص 211 , 212 . (المترجم) .

([1]) تفصيل هذا الحدث أن الأمير حيدر والد الأمير نصر الله , أراد إبان توليه الحكم أن يقبض على أخويه دين ناصر بيگ حاكم مرو , ومير حسين بيگ حاكم سمرقند كإجراء احترازى من إعلان تمردهما فى المستقبل , فأرسل رسله إلى أعيان وكبار رجالى كلا الولايتين ليقبضا على أخويه كل فى ولايته , وأمرهم أن يأتيا بهما إلى بخارا , فلما وصل رسوله إلى أعيان مرو وكبار رجالاتها , استنكرا الأمر بسبب معامله دين ناصر بيگ الجيده لهم ولأهالى مرو , فقبضا على رسول حيدر وسلموه برسالته إلى دين ناصر , فلما قرأ الرسالة إستشار زعماء مرو فى أمرها , فأجابوه بأنهم سوف يجاهدون معه ضد أعدائه وأنهم سوف يبذلون الغالى والرخيص فى سبيل نصرته , فكتب رساله بهذا المعنى إلى أخيه الأمير حيدر وأرسها له فلم قرأها حيدر استشاط غضبه , وخرج إلى أخيه فى مرو على رأس جيش عظيم , فلما علم أخيه بذلك خرج بجيشه إلى حدود مرو , وتقابل الجيشان فى أكثر من معركة على مدار ست سنوات متتالية , استطاع حيدر بيك فى نهايتها الانتصار على أخيه دين ناصر بيگ , وأمر جيشه بأن يمكث فى المكان , وأمرهم بأن يقتلوا جميع كبار رجالات مرو وزعمائها , بل ويقتلوا الجرحى أيضا , حتى صنعوا من رؤوس البشر برج عالى , ولايزال هذا المكان يطلقون عليه حتى الآن اسم «كله منار» أى برج الرؤوس , وضاقت ساحة المعركة على دين ناصر بيگ , وضعفت مقاومتة أمام الأمير حيدر , فقام بحمل زوجته وطفله بمعاونة خمسون من فرسانه من المخلصين , وأسرع خراسان , فوصلها بعد سته أيام وطلب الحماية من الدولة الايرانية , و عندما علم الأمير حيدر بهذا الأمر حيث كان حينئذ فى چارجوى , أسرع هو الآخر إلى ناحية مرو , فتقدم أهالى مرو له بالإعتذار , فعفا عنهم ومكث فيها عدة أيام حتى يستريح الجيش . وبعد أن استقامت الأمور على النحو الذى يرضيه , عين أحد قواده وكان يدعى يلگاب بيگ (يرلقب بى) , حاكما على مرو , وعين له فرقة من الجيش لتكون تحت إمرته . وقد ذكر محمد سليم بن محمد

كثرة , إلا أن الصدمات المتعاقبة و اللطمات المتواترة أصابتنا بالخسارة الشديدة. ولكن الحمد الله منذ بزوغ الشمس والقمر لهذه الدولة الكبرى وحتى الآن لم نعد نحيا فى مرحلة أمان وراحة تامة فقط بل فيما هو أكثر من ذلك.

فاستغرق الصغير و الكبير , والشاب والعجوز فى بحر الدعاء , واعتبروا الدعاء للدولة العلية أوجب من أداء الفرائض , وأمضوا حياتهم فى الشكر على هذه النعمة وتلك الطمأنينة و الرحمة والرفاهية.

ثم رحلنا إلى المنزل الرابع والعشرون ,شريف آباد التى كانت تبعد ستة فراسخ , وقد أراد الأهالى هناك أن يمنحونا المؤن المجانية (الجراية) , لكننا رفضنا ذلك منهم , ودفعنا قيمتها . ثم تحركنا من هناك إلى المنزل الخامس (والعشرون)[1] اذ وصلنا إلى ارض أقدس «مشهد» التى كانت تبعد سبعة فراسخ , فاستقبلنا على بعد فرسخين من المدينة جمع من قبل جناب حضرة آصف الدولة بإعزاز , حتى إنهم قد هيئوا لنا عند دخول المدينة منزلا ومكانا مناسبا , وعين لنا موظف استقبال مناسب , وقد ظللنا لمدة خمسة عشر يوما تحت قبة عرش حماية جناب على بن موسى الرضا عليه التحية والثناء , نائب الحج , والذى كنا نعده المداح الدائم للدولة الخالدة .

رحيم فى كتابه كشكول سليمى وتاريخ متقدمين ومتأخرين , أن مرو ظلت لمدة أربع سنوات بعد هذه الحرب دون حاكم , قبل أن يولى يلگاب بيگ حاكما عليها , وأن مرو ظلت لمدة خمسة وأربعون عاما خربه خالية من السكان , حتى جاءها اليكساندر نيكلاويج امبراطور الدولة الروسية , وجمع أناس من أماكن عدة وأسكنهم بها , وفى عام 1305 ه قام بإنشاء خط سكه حديد من أعالى طريق مرو حتى أطراف بخارا الشرقية , فعمرت مرو يوما بعد يوم .

محمد سليم بن محمد رحيم – كشكول سليمى وتاريخ متقدمين ومتاخرين (1330 ه) – باهتمام ملا عبد الكريم عبد الرازق – ص 265 - طبعة 1331 ه .

وميرزا شمس بخارايى – تاريخ بخارا , خوقند وكاشغر (در شرح حكمرانى امير حيدر در بخارا , محمد على خان در خوقند وجهانگير خواجه در كاشغر) – مقدمه وتصحيح وتحقيق /محمد اكبر عشيق – ص 70 – 72 – چاب اول – تهران 1377 ه . ق . (المترجم) .

([1]) يبدو أن المؤلف لم يذكر هنا لفظ العشرون على سبيل الاختصار ولكنى ذكرتها هنا حتى يكتمل المعنى و يعتدل الترتيب الرقمى والزمنى . (المترجم)

وقد كان سبب توقفنا هناك لفترة طويلة , أن دواب وخيول خليل خواجة قد عجزت تماماً عن الحركة حتى كاد الأمر يصبح نكبة , والتمس منى أنا العبد أن نتوقف عدة أيام من أجل الراحة فاضطررنا إلى ذلك . وفى اليوم الأول لوصول حضرة جناب آصف الدولة , أرسلوا مجموعة من الحلويات وأقماع السكر من أجل العبد لله , ومثلهم إلى خليل خواجة , كما عينوا لنفقة خليل خواجة ونفقتى أنا العبد لله , ثلاثة تومان ونصف يوميا (ص26) طبقا لما يقتضيه الرسم , وعقدوا عدة مجالس أيضا للخواجة خليل , وشملوه بالكثير من العطف والإعزاز .

وفى أثناء فترة الراحة هذه , كان العبد لله قد شارك فى أربعة أو خمسة مجالس طبقا لمراسم الحضور , وعرضت ما كان من أوامر أولياء الدولة القاهرة فى مكان خاص , حيث أمروا لخليل الخواجة بجبة من الكشمير وخمسين تومان نقدى مع خمس حبات من الفيروز , وكان العبد لله يتولى اعداد وتجهيز الاحتياجات الضرورية للسفر وتدبير الدواب اللازمة فى كل مرحلة وما يتعلق بها من تسديد أجرة الدواب ونقل الأمتعة . وتحركوا يوم الثلاثاء الموافق الخامس من شهر ربيع الثانى من الأراضى المقدسة ثم توقفوا بعد فرسخ واحد فى المدينة التى تشتهر باسم قلعة خدر بيك , وذلك بسبب مجموعة من تجار الأراضى المقدسة ,كانوا قد تأخروا فى حزم أمتعة السفر الخاصة بهم , وتأجير من سيحملونها , فعطلونا لمدة يومين .

وأتموا أمورهم التى لم تنجز , ورحلوا جميعا بأبهة ورفاهية ومعهم أمتعتهم . وقد كان برفقة هذا العبد المطيع حصان وبغل وجمل , وعلى هذا الأساس كان الحصان يحمل أمتعة ثلاثة وعشرين نفرا , والبغل أربعة أفراد , والجمل الخاص بالعبد لله خمسة عشر فردا , فتم استئجار جمل لحمل (أمتعة) أربعة عشر فردا .

بلغ عدد الأفراد الذين يرافقوننى خمسة وأربعين نفرا من كافة النواحى . فرأيت عظمة وهيبة الدولة العلية فيهم , فإذا كان الفقر والعوز هم أساس الهلاك فلن أستطيع أن أبعدهم عن هذه المملكة.

وفى يوم الرحيل عن قلعة خدر بيك , جاء كل من حاجى قاسم وحاجى ملا حسين وسائر تجار دار الخلافة لتوديعنا لمسافة فرسخين , وأبرم كل واحد على حده العقود مع شركائه , وكانوا كلما احتاج أقل عبد فى بخارا إلى نقد أو بضائع فإنهم يقرضونه .

كان المنزل الثانى الذى قد نزلنا به هو قورغون , وهى على بعد أربعة فراسخ , ويسكنها عشيرة تيمورية يبلغ عددهم حوالى مائتى شخص , يعملون بالزراعة والرعى , وكان كبيرهم وقائدهم (ص 27) دوست

محمد خان , ابن المرحوم قليچ خان التيمورى . ومن جملة الأحداث التى وقعت فى مدينة مشهد , أن الخواجة خليل أراد أن يحمل معه طفلا صغيرا أمرد , لا أهل له , إلى بخارا , وكنت قد علمت بهذا الأمر فى المدينة , فأردت أن أمنعه , ولكنه رفض . ويذكر أن أم الطفل قد أخذت منا أموال لكى ترافقه , فرأيت أننى لن أستطيع عرقلة هذا الأمر , فأرسلت رسالة إلى كبير حجاب آصف الدولة , فأرسل حاجبا إلىَّ بأن أكتب رقعة إلى خليل خواجه , تفيد بأن جناب آصف الدولة , قد أشار بأن أم الطفل قد صرحت لى بأن ابنى كان قد هرب , وصار خادما للبخاريين , وأرادوا أن يأخذوه إلى بخارا , وبناءً على ذلك سلمه ليحضروه .

وفى أثناء الطريق إلى قورغون , جاء الخادم برسالة مكتوبة من كبير الحجاب مفادها , أن خليل خواجه أبلغ الخادم برفضه , فعاد الخادم , وأبلغوا العبد بأن الخادم رحل. فأرسلوا شخصا ليعيده. فقلت لخليل خواجه فى وقت الغذاء أنه ليس من اللائق أن تأتى من الولاية إلى الدولة لكى ترتكب هذه الحركة الشنيعة , التى هى فى الحقيقة سببا فى سوء (حالة الطفل) , فلن تكون ثمرة هذا الامر ولا ثمار هذه الشجرة سوى سوء السمعة والفساد . وعلى الرغم من أننى قد أبديت له الموعظة والنصيحة إلا أننى كنت أرى أننى أطرق على حديد بارد , وقد أنهيت كلامى بأنهم أخذوا ذلك الطفل وسلموه إلى الخادم ثم أعادوه .

وقد ظل خليل خواجه مكدراً بسبب هذا الغلام لمدة يومين أو ثلاثة .

ونزلنا فى المنزل الثالث فى منطقة چهار گنبد , التى كانت على بعد خمسة فراسخ , وفى اثناء الطريق أخبرونا أن ذلك الطفل الجاهل عرف كل شئ كاملا بالفطرة وقد فر من قبضة الخادم عندما واتته الفرصة , وعاد . وفى اثناء الطريق كان شخص تيمورى قد ذهب إلى مشهد . فاستعدت ذلك الطفل الصغير منهم رغم أنفهم , بالاتفاق مع ذلك الفارس التيمورى ورفيقه . فحملوه وسلموه إلى كبير الحجاب فى مدينة مشهد , فقُبض عليه , وأوصلوه الينا فى منطقة مزدوران .

وبلغنا المنزل الرابع , أى منطقة مزدوران التى كانت على بعد خمسة فراسخ , وقد رأينا هناك أكشاك حراسة كثيرة حصينة . وحوالى مائة وخمسين فارسا راكبا , تابعين إلى الرئيس آصف الدولة ,(ص28) وكانوا مودعين تحت إمرة اليوزباشى على محمد , وقد كانت مهمتهم هى حراسة النقاط الحدودية ليل نهار , إلى جانب أعمال الزراعة والفلاحة. وقد توقفنا فى ذلك المكان بسبب تأخر وصول القافلة , ووصلت القافلة وحمل الفرسان ذلك الطفل إلى مشهد .

تحركنا من هناك ودخلنا المنزل الخامس شورلق[1] والتى كانت على بعد خمسة فراسخ , ولم يكن فيها مياه حلوة , ولكن كان يوجد بها عين ماء مالحة , كانت تستخدم فى شرب الدواب والحيوانات , فجلبنا ماءً حلواً من مزدوران .

ووصلنا إلى المنزل السادس الذى كان على حافة النهر , فى الجهة المقابله لمدينة سرخس, والذى كان يبعد عشرة فراسخ , وكان هناك فيضان لماء النهر بسبب الأمطار , فلم نتمكن من العبور , فتوقفنا لمدة يوم هناك , فقد كان الرئيس آصف الدولة قد كتب رسالة إلى نفس بيك وتراب بيك بأن يجعلونا نعبر تلك الحدود بكل إعزاز وإكرام , وأعطوها إلى السباحين التركمان الذين كانوا عبروا النهر ورحلوا .

وفى الغد , جاء كلاهما وقت الظهيرة دون تقصير أو اهمال . فالتركمان الذين يقيمون فى منطقة سرخس كانوا حوالى عشرين ألف أسرة , اثنا عشر ألف منهم من عشيرة توقتمش وكبيرهم نفس بيك , أما الثمانية آلاف الباقية , فقد كانوا ينتمون إلى عشيرة آقتمش والتى كان زعيمها تراب بيك .

وقد أشار الزعيمان العجوزان بأن نمكث يوما أو يومين حتى ينحسر فيضان الماء .

وعندما حان وقت الظهيرة , جاء خليل خواجه بصحبة بعض الناس من أقاربه , فقام عدة أشخاص منهم بحمل ذلك الغلام , وأخذوه إلى حافة النهر وسبحوا . وذهب على محمد نام الأصفهانى بن محمد عليخان جلفانى الذى كان أحد غلمان هذا العبد القدامى , والذى كان يبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما وكانوا ذاهبين مع شخصين من أقارب خليل خواجه إلى وسط النهر , فتعرض على محمد نام إلى صدمة وغرق فى الفيضان , فأرسلنا عدد من السباحين التركمان للبحث عن جثته فلم يجدوا لها أثر . فاضطررنا إلى المكوث ستة أيام على شاطئ النهر , بسبب انهمار المياه حتى أغلقت الطرق من شدتها , وأعطينا عشرة تومانات إلى السباحين (ص29) وظلوا يبحثون فى كل مكان بالنهر فلم يعثروا على أثر ,

---

([1]) هى منطقة كالميدان أو مجمع سكنى مساحتها حوالى 146 كيلو متر مربع تقع على بعد حوالى 100 كيلو متر من شمال شرق مدينة مشهد على الطريق الواصل بين مشهد وسرخس .
على قاسمى وآخرون – ارزيابى كيفيت منابع آب حوزه آبريز شورلق سرخس، در استان خراسان رضوى – ص 2 – بحث منشور فى المؤتمر الثامن لجمعية المهندسين الجولوجيين الايرانيين فى جامعة فردوسى مشهد (هشتمين همايش انجمن زمين شناسى مهندسي ايران 15 , 16 آيان 1392 , دانشگاه فردوسى مشهد) .

وتمهلنا نحن ايضا لأن الفيضان لم يكن قد انحسر بعد , وفى النهاية رأينا أنه من الأصلح أن يعود نفس بيك وتراب بيك إلى ناحية قنطرة خاتون التى تقع على مشارف آق دربند , وقد استغرق الطريق من هناك إلى سرخس خمسة أيام .

وصلنا فى اليوم التالى إلى الجسر وعبرنا . ونزلنا على تلك الضفة من النهر , وكان لدينا أعلاف وحطب كثير . وهذا الجسر كانت به اثنتا عشر فتحة , ست فتحات كبيرة وست فتحات صغيرة , ولا يُعرف من الذى قام بهذا البناء الذى كله خير وبركة , ومن الذى كانت السعادة والخير والهناء فى عاقبته ؟ , ولكنه عُرف باسم جسر خاتون .

وقد كان بناءً محكما وأساسه منيع وراسخ , ولكنه يشرف على الدمار والخراب , وإذا لم يرمم خلال عامين , سوف يدمر بالكامل , وأنا أعتقد أن (هذا الجسر) يحتاج لترميمه ثلاثمائة تومان . وتحركنا من هناك , ونزلنا على بعد ثمان فراسخ , ثم سرنا من هناك , وفى اليوم التالى أصبحنا فى سرخس . وفى أثناء الطريق وعند المكان الذى خصص لتناول الغذاء , ذكر فارسان من التركمان كانا قد ألقيا بقطعة من جلد فهد على ظهر جمل , ما يلى : أن شخصا تركمانيا يدعى قليچ , مر بصحبة امرأة وطفل فى العاشرة من عمره على رأس قطيع من الغنم , وكان الابن يركب الجمل , والمرأة تمسك بزمام الجمل , والرجل يسير خلف الجمل , وفجأة قفز فهد من جذع شجرة وانقض على الجمل , وطرح الجمل لمسافة عشرين ذراعا , وأراد أن يشتبك مع الشخص التركمانى , ليقتله , وكان الرجل معه سكين حاد , فشق الفهد إلى نصفين بضربتى سكين فى مهارة فائقة , فقضى عليه, ولكن هجمة الفهد تلك , كانت قد أسفرت عن هلاك ظهر ووسط ورقبة الجمل والتهامها , ولكن الابن لم يصب بأى شئ .

وأَطلع ذلك الرجل العارفين على رأس الفهد المقطوع , وجلده المسلوخ , فقد كان قد سمع أننى موجود فى ذلك المكان , فأحضره إلىَّ فى الطريق فتعجبت كثيرا . فأعطيناه خمس تومانات وعباءة , وذهبنا ؛ ونزلنا فى ذاك اليوم على بعد نصف فرسخ من سرخس . ثم ورد خبر , أن أهالى التركمان قد وجدوا جثمان الشخص الذى يخصكم , الذى كان قد غرق فى الماء , فأعطيتهم فى الحال ثلاث تومانات , وأرسلتهم لإحضار الجثمان لدفنه , وقمنا بدفنه (ص 30) فى مشهد بعد العوده .

وفى اليوم التالى أعطينا نفس بيك وتراب بيك طقم من الخُلع , وسكين ذى مِقبض من الجوهر , وصرفناهم . وحملنا الماء والمؤن بأنفسنا وتوجهنا إلى مرو . وقد كان بين المشهد المقدس وبين سرخس ثلاثون فرسخا وبين سرخس و مرو ثلاثون فرسخا وكان يوجد كل عشرة فراسخ من الطريق بئر مالحة ومُرَّة

, وكانت الإبل تشرب ماءها كرها . وسرنا ثلاثة منازل ثم وصلنا إلى مرو بعد فرسخين . وجاء ابن صاحب المقام العالى خليفة[1] بصحبة خمسين فارسا لاستقبالنا , ونزلنا داخل مرو الجديدة التى كانت مقراً لخليفة , وقضينا أربعة أيام فى مرو , فى ضيافة خليفة , لكى تستريح الدواب . وقد حققوا لى مطلبى فى التجول قليلا فى كل الولايات المتفرقة , ولم أر إنسان صاحب مروءة وكريما مثل خليفة , و لا داعى لتفصيل الحديث عن ذلك فينبغى ذكر ذلك على حده .

اجتمع جميع كبار عائلات تكه وساروق وسالور , وأبدوا إخلاصهم واستعدادهم لأن يضحوا بأنفسهم فى سبيل الدولة العلية , وقالوا : متى يأمر أطهر الملوك ملجأ الاسلام , روحنا فداه , بقبولنا فى الخدمة والعبودية , , فنحن غلمانه المخلصين وكل خدمة تسند إلينا من الدولة العلية نُنجزها بإخلاص , وتفصيل هذه المقدمة كالآتى : إن جماعة ساروق اجتمعت لتلتمس (العفو) من محمد باى , الذى كان حاكما هناك من قبل ملك ارگنج , حيث كانوا قد قتلوا فى العام الماضى ألف ومائتين شخص فى القلعة التى أنشأها محمد نيازباى فى مرو الجديدة , وينبغى أن نتعرض لهؤلاء بالتفصيل .

حملنا من مرو الماء والمؤن واتجهنا إلى بخارا . والمسافة من مرو إلى بخارا ستون فرسخا , وإلى چهار جوى (آمل سابقا) خمسة وأربعون فرسخا , ويوجد فى الطريق من مرو حتى چهار جوى أربعة آبار , ثلاثة آبار ماؤها مالح ومر , ينفع الدواب والمواشى , وواحدة حلوة . ويفصل بينها وبين الآبار الأخرى إثنا عشر فرسخا . وكان العلف قليلا . وبعد اجتياز المسافة المذكورة , وصلنا إلى چهار جوى . وكان يوجد هناك قلعة كبيرة جدا ولكنها كانت فى غاية التخريب . ففى خلال الأعوام الثلاثة السابقة , كان سمو الأمير (نصر الله) قد ذهب إلى محاصرة خوقند , وفى أثنائها جاء ملك ارگنج بصحبة ثلاثون ألف شخص إلى حدود چهار جوى , وقام بترحيل أربعون ألف أسرة من هناك . (ص 31) وأسكنهم قرية تابعة لچهار جوى , مساحتها حوالى ستة عشرة فرسخا طولا وفرسخين عرضا. والتى كانت تقع بالقرب من نهر آمويه الذى اشتهر بجيحون وكان الحاكم هناك احمد بيگ رئيس العسكر . وقد توقفنا هناك لمدة يوم

([1]) هو حاجى خليفة المروى أحد كبار أعيان مرو , الذين كانوا يميلون إلى ايران , وقد زار مدينة مشهد فى عهد ناصر الدين شاه القاجارى من كبار رجال مرو وأعيانها , وقد طلب من سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة أن تدخل مرو تحت تبعية ايران سباسيا . (المترجم) .

واحد , واتجهنا فى الغد إلى بخارا . والمسافة من چهار جوى إلى بخارا خمسة عشر فرسخا . وعبرنا النهر بالسفينة ونزلنا بقلعة بيگ التى كانت على بعد فرسخين من الطريق .

وكان عرض النهر [1] حوالى فرسخ واحد , وقد سرنا من هناك إلى قره كول[2] أى حوالى ست فراسخ . ونزلنا هناك , وقراكول تعد من جملة نواحى بخارا الكبيرة . فالموارد التى وصلت من قراكول فى عام , إلى السيد الجليل كانت ثلاثون ألف طلا [3] أى حوالى أربعون ألف تومان . وكان الحاكم هناك ايرانى ويدعى حسين خان , ولم يكن لديه عمل, ولكنه كان منصبًا كبيرًا جدا . فقد كان المرحوم محمد زمان خان قاجار (عز الدين لو) حاكم بسطام و گوكلان قد اجتمع منذ أربعين عاما مع جماعته لمحاربة طائفة الگوكلان وهزيمتهم , فأسر التركمان مجموعة من الناس , كان من بينهم حسين خان المذكور , الذى كان فى السادسة عشرة من عمره حين وقع فى الأسر , فاستقرت به الأمور فى ارگنج , وهناك تداولته الأيدى بالبيع والشراء , حتى انتهى به المطاف فى عهد الأمير حيدر , والد الأمير الجليل فى ذلك البلاط , فاخذ يترقى رويدا رويدا , حتى صار فى عهد الأمير الجليل رجل عظيم الشأن , ثم انتهى به المطاف أن صار حاكما لنواحى مهمة .

وعلى الرغم من أنه كان ضليع فى الدين إلا أنه كان يعتنق التقية . فقد غضب السيد الجليل الأمير من المشار إليه لعدة أعوام فيما مضى . حيث كان قد أخذ حوالى ستين ألف تومانًا حين كان يعمل مترجما له

([1]) المقصود هنا نهر جيحون حيث كانوا يطلقون عليه آمودريا أو «آمويه دريا» . وهو ينبع من جبال پامير ويمر بمدينة بدخشان وبلخ وبخارا وخوارزم ثم يلتقى بعدها بنهر سيحون ويصبا فى بحيرة آرال . وهو يساوى فى عرضه عرض نهر النيل تقريبا , وهو نهر كبير فعلا ولكنه لايصل عرضه إلى فرسخ حيث أن الفرسخ يساوى ستة كيلومتر .

شيخ سليمان افندى اوزبكى البخارى – فرهنگ جغتائى فارسى – ترجمة وحواشى حسن عبد الهى جهانى (اومود اوغلو) - ط 1 - ص 39 - تبريز 1392 هـ.ش . (المترجم)

([2]) قراكول : قرية تقع فى شمال مدينةچار جوى أى الأنهار الأربعة التى عرفت فيما بعد باسم آمل , وهى مشهورة بجلد الحملان البخارى . دهخدا – مادة قراكول .

وكى لسترنج – بلدان الخلافة الشرقية – ط1 - الترجمة العربية (بشير فرنسيس و كوركيس عواد) – ص 445 , 446 - بغداد 1371هـ - 1413 هـ . (المترجم)

([3]) هى عملة من عملات بخارا وهى تساوى تومان ونصف التومان .

, والترجمان يقال له فى تركستان يُرقو , وظل على هذا الحال لمدة عامين , ثم رجحت كفته من جديد فجعلوه حاكما على قراكول .

إذا لم تنقص مياه نهر زرفشان[1] , وتصل إلى قراكول , فإن منافعه تكون أكثر من ثلاثين ألف تومان من الذهب . فمياه نهر زرفشان تأتى من جبل تاشكند وهى عاصمة افراسياب . (ص32) أما الآن فهو يزيد عن الحدود المعمورة , ويدخل فى نطاق دائرة نفوذ حاكم خوقند .

وفى المساء جاء حسين خان بطريقة سرية إلى زيارتى وأرسلوا السكر والشاى إلى المنزل المبارك , وقد نقلوا أخبارى بالتفصيل , فأقاموا تلك الليلة مأدبة جميلة جدا . وكان الرسم يقضى بأنه لا يجوز لأهل بخارا زيارة أحد أو تفقد أحواله دون إذن الأمير , سواء كان من أهل الولاية أو غريبا عنها , وعند طلوع شمس اليوم السادس من شهر جمادى الأولى اتجهنا إلى بخارا , وكانت مسافة تلك الرحلة سبع فراسخ . وكان

([1]) نهر زَرْفشان ويقال له (ناشر الذهب) وهو آخر روافد نهر جيحون ويسمى نهر السُغد وعليه تقوم سمرقند وبخارا , ومنابعه يقال لها البُتَّم , وهو يفصل بين أنهار اقليم الصُغد من جهة وأنهار الصغانيان ووخشاب من جهة أخرى , وهما من روافد يمين نهر جيحون.ومبدأ نهر السغد فى موضع يقال له جّن أو جّى,وهو مثل بحيرة حواليها قرى وتعرف الناحية ببرغر , أو ورغر , فينصب النهر من البحيرة بين جبال حتى ينتهى إلى بنجيكث ثم ينتهى إلى مكان يعرف بـ بور غسر وتفسيره رأس السكر فى لغتهم , لأن عنده تتشعب من النهر أنهار تسقى سمرقند ورساتيقها التى فى شمال نهر السُغد , ومن الأنهار الآتيه إلى سمرقند , اثنان يحملان السفن , وكان على النهر فى سمرقند قنطرة من الحجارة يقال لها قنطرة جرد , ومياه الفيضان تغمرها أحيانا ويأخذ من النهر أسفل سمرقند أنهار أخرى تسقى الرساتيق التى حول الدبوسية وكرمينية , ثم يصل نهر السغد إلى قرب بخارا , فيسمى النهر فى هذا الموضع بنهر بخارا , وكان يأخذ منه فى ظاهر سور بخارا الكبير أنهار تسقى المدينة وما يليها من أراضى , وبعض هذه الأنهار يؤلف شبكة للسقى تعود مياهها إلى عمود النهر البُتَّم كان غيرها يفنى بعد السقى وهو ما كان فى الجنوب الغربى والمعروف أن الأنهار الكبيرة التى كانت تصل إلى مدينة بخارا يصلح كلها لسير السفن.
أبو القاسم بن حوقل النصيبى – صورة الأرض – ص 391,392 , 398 , 399 , 402 – بيروت – لبنان 1992 م
وكى لسترنج – بلدان الخلافة الشرقية – ط 1 – ص 479 , 503 , 510 , 511 .(المترجم)

يوجد على بعد فرسخين من المدينة , حارس طريق مع رئيس , أى كبير حجاب القصر , كان سمو الأمير قد أرسلهم مع حوالى أربعين أو خمسين فارسا مجهزين لاستقبالى .

ووصلنا المدينة قبل الغروب بنصف ساعة , وأنزلونا فى منزل كان يخص الأمير السيد حسين خان فى الفترة السابقة , وهو شقيق سمو الأمير . وهم يسمون الأمير باللغة التركستانية توره [1].

فى أوائل نشأة الدولة , جرعوا سمو الأمير السم , بسبب عدم اطمئنانهم إليه واعتقادهم أنه شيعى . وكان سمو الأمير قد هيأ ذلك المنزل (لضيافتنا) فى الحال . ورافقنا الحُضور إلى داخل المنزل , وبعد دخولنا مباشرة , تم استدعاء خليل الخواجة للحضور , وبعد استقرارى فى المنزل , أحضروا الحلوى و الحلويات و مُدَّت السفرة التى كانوا يسمونها بلغتهم دستور خان , ووضعوا عليها ما ينبغى أن يكون من الحلويات والخبز , وأحضروا عدة أقماع من السكر وكمية من الشاى من عند سمو الأمير . وقالوا أن سمو الأمير قد أمر بأنه إذا قرر فلان أن يأتى لزيارتنا فى الحال فهذا حسن , وإذا أراد أن يأتى غدا فله حرية الاختيار .

ولما كان الوقت ضيقا وقد انقضى معظم النهار , فقد استقر الرأى على إرجاء المقابلة إلى الغد . وهذه هى تفاصيل قدومى إلى بخارى سوف يتم عرضها دون نقص أو زيادة : رافقنا ثمانية عشر فارس راكب مجهزين فى كامل عدتهم وفى غاية الكمال والنظافة .

ودخلنا عليهم بكل عزة وأبهة , بصحبة أربعة فرسان يتمنطقون بالأحزمة الذهبية والحراب , وحامل صارى العلم فى المقدمة . وأربعة عشر بغل يحملون صناديق الفرش والخيام الملونة. ولم يكن قد حمل بغل واحد إلى بخارا حتى اليوم , (ص 33) فلم يكن له أى وجود هناك . فأنا الذى إصطحبته معى إلى هناك , ولذلك كان عجيبا وغريبا بالنسبة للناس . حيث لا يمكن أن يسير فى طريق بخارا سوى الجياد والإبل , أما غير ذلك من الدواب فلا يسمح لها بذلك .

ودخلنا جميعا بصحبة أربعة عشر نفرا يمتطون جمالا تسير فى صفوف مع سائر الجمال التى كانت قد أُستأجرت مع خدم فى كامل عدتهم وعتادهم من بنادق وأحزمة جميلة .

وكان جميع أهالى بخارا قد جاءوا بجميع فئاتهم إلى ساحات الطرق والشوارع ليشهدوا مجئ سفير من الدولة الايرانية العلية , وبعد مضى اليوم التالى , جاء كبير الحجاب ليبلغ بأن سمو الأمير ينتظر مقابلتكم

([1]) كلمة توره : باللغة التركستانية (الجغتائية)تعنى الأمير ومعناها محبوب أو معشوق , وهو لقب يلقبون به الأشراف (المترجم)

. وأنه رأى شوكة الدولة العلية على النحو الذى يلزم ويليق , وتحركنا حتى وصلنا إلى باب مقر بلاط منزل سمو الأمير وهناك حزموا السلاسل والجنازير بحيث يكون كل واحد من الأمراء مترجلا فى المكان المخصص له . أما أنا فقد ذهبت إلى جميع الأماكن راكبا , حتى المقام الذى يترجل فيه الأمير نفسه وقاضى القضاة ورئيس الوزراء , ولم يكن لأحد القدرة على النزول والسير فى ذلك المكان سوى اولئك , ودخلنا مع الشقاول (رئيس الديوان)[1] إلى ديوان الوزارة .

كانت مساحة ديوان الوزارة كبيرة جداً , حيث بلغ حوالى إثنا عشر ذراعاً فى الطول وسبعة أذرع عرضا , وكان مفروشا بالحصير «المصنوع من القصب» , فأصبح اللون الأبيض يغطى مساحة قدرها ستة أو سبعة أذرع , وكان الأمير يجلس بمفرده دون حراسة.

دخلت الحجرة وسلمت بصوت مرتفع . فرد سمو الأمير التحية , وأشاروا إلىَّ فجلست فى مكان ظاهر , على بعد ذراع ونصف تقريبا من الأمير . وبعد انتهاء مراسم الاستقبال الرسمية , أمسكت الأمر المبارك لمطاع الدنيا بيدى , وقبلته وحافظت عليه .

فبسط سمو الأمير كلتا يديه إلىَّ , وأنصت إلىَّ من البداية إلى النهاية بدقة , واستفسروا عن الأمر : هل لديك رسالة شفوية , و بماذا أمر الملك ؟ فقلت نعم إننى أحمل أوامر شفهية , ولكن ليس هذا مكانها . فأنا لم أقصد سوى زيارة سمو الأمير , و ابراز عطف واهتمام صاحب الجلالة , أقدس وأجلَّ الملوك , روحى فداه , أما بالنسبة للأمير فليس لدّى ملاحظات . و إن شاء الله الرحمن , عندما أتشرف بجلسة

(1) شقاول أو شيغاول : لفظ تركى جغتائى . وهو أحد المناصب فى بلاط تركستان , وهو يعنى مسئول التشريفات والاستقبال فى بلاط الأمير أو الملك , وهو يوازى الآن منصب رئيس الديوان الملكى أو الجمهورى أو كما يطلقون عليه أيضا مدير المراسم , ومن مواصفات من يقوم بهذا العمل أن يكون من طبقة القادة العسكريين , ومن مهامه عرض الرسائل والبريد على الأمراء والملوك إلى جانب استقبال السفراء وتنظيم اجراءات مقابلتهم مع الأمراء أو الملوك .
شيخ سليمان افندى اوزبكى البخارى – فرهنگ جغتائى فارسى – ترجمة فارسى – ط 1 – ص 350 .
و محمد معين – فرهنگ فارسى – چاپ ششم – جلد دوم – ص 2053 – تهران 1363 هـ.ش . (المترجم)

أخرى , سوف ألقى عليكم أوامر قبلة العالم والناس , روحنا فداه , ورسالة جناب قبلة الأمم , غياث المسلمين , صاحب السيادة دام (ص 34) مجده العالى[1] لأنه على غرار ما ذكر فى الخارج , وما سمع من الأهالى هناك , أن سمو الأمير قد عزم على قتل يوسف ولف فى غضون هذين اليومين , وأنا أعتقد أننى لا يمكن أن أبدى رأيى فى هذا الشأن فى مجلس حضرة سمو الأمير , خشية أن يظن بى أننى كنت أؤيد قتل يوسف ولف من قبل[2]. ومن الضرورى أن أوضح فى نفس المجلس أولا حُكم ملك الملوك , روحنا فداه , ذلك الذى يقضى بأن يوسف ولف القس والمبشر المسيحى , لديه صك أمان من قبل الدولة العلية , وأنه يوجد بين الدولتين العليتين ايران وانجلترا تحالف , وينبغى على سمو الأمير أن يسلمه إلىَّ أنا رسول الدولة العلية معززا مكرما مما سيكون باعثا لراحة بال أولياء الدولة القاهرة ورضاهم عن سمو الأمير , أما إذا كان سمو الأمير يريد أن يتصرف تصرفا آخر فى مسألة يوسف ولف , فمما لاشك فيه , أن هذا سوف يكون سببا فى اضطراب خاطر ملك الاسلام و ملاذه , روحنا فداه , ومن الثابت أن سمو الأمير لن يرضيه تعكير صفو السلطان المبارك المقدس . فأقر سمو الأمير هذه الفقرة , ولكنه قال إنكم ليس لديكم خبر أن هؤلاء قد عقدوا النية على تخريب مملكتى .

لقد كان السادة الانجليز قد جاءوا إلى هنا من قبل . وكانوا دائما ما يثيرون حفيظة ملك خوقند[3] ويحرضونه على عداوتنا , وقد حرصت فترة من الزمن على تبادل الرسل والرسائل مع ملك ارگنج[4] حتى لا يحرضونه على عداوتنا , وقد تعهدوا بأن كل ما تفرضونه من ضرائب سوف نؤديها , وأخذوا خريطة حدود الولاية وجعلوا المهندسين يحددوا معابر وطرق بخارا , و أخذوا أدوات صانع الأختام ونقشوا عليها اسم كل شخص يفكر فى مزاولة أى عمل لديهم .

---

(1) المقصود هنا حاجى ميرزا آقاسى رئيس وزراء ايران فى عصر محمد شاه .

(2) من المحتمل أنه لم يرد شئ فى رسالة محمد شاه عن مسألة يوسف ولف .

(3) خوقند مدينة تقع على ضفة نهر سيحون الشمالية وكانت تعرف باسم خانية خوقند , وقد سماها بن خرداذبه وغيره مدينة فرغانه , وكانت قصبتها فى أوائل العصور الوسطى مدينة اخسيكث , وقد أعادت لها الحكومة الروسية اسمها القديم رسميا .

كى لسترنج – بلدان الخلافة الشرقية – ط1 – ص 520 . (المترجم)

(4) ارگنج هى مدينة من مدن خراسان القديمة , تقع على حدود ما وراء النهر .

دهخدا – لغت نامه – مادة ارگنج . نسخة الكترونية .(المترجم)

وقد نُهى هؤلاء عدة مرات عن ارتكاب هذه المخالفات , فاعترضوا على توجيه اللوم لهم ومنعهم , فكان لابد أن يحبسوا , ويُوجه النصح والإرشاد لهم , حتى يكفوا عن أعمالهم , وعندما غادروا , تمادوا فى ارتكاب الأعمال المشينة والطائشة , فقد كانوا فى غفلة من الأساس .

(ص 35) وقد قمت بتفنيد أوامر الأمير والرد عليها , كل على حده , بصورة لائقة , وختمت حديثى قائلا : لن أقول إننى أختلف مع ما قاله سمو الأمير , ولكن فيما يخص موضوع مهندسى الولاية فإن القاعدة تقتضى أن يذهبوا إلى كل الأماكن , ويرسموا خرائط جميع الولايات , ويعينوا حدود تلك الأماكن ؛ وعلاوة على هذا فقد حملوا عدة عينات من الأعلاف الصحراوية وأخذوها معهم إلى ولايتهم . وبما أن سمو الأمير ليس لديه معلومات عن أحوال هؤلاء , فقد بدا هذا الأمر غريب من وجهة نظرهم . ومن المحتمل أنهم كانوا ولايزالون يرسمون منذ زمن بعيد , خرائط عديدة لبخارا , وقد حملوها إلى ولاياتهم , ولكنهم لم يظهروا شيئا منها .

أما بالنسبة لموضوع السعى فى تخريب ولاية بخارا , فهذه الفقرة لا يمكن التسليم بها, لأنه عندما اتحدت الدولة الايرانية العلية مع الدولة الانجليزية البهية , لم ترتكب عملا ضد رغبة الدولة العلية , وإذا ما تم وصف الإتحاد الذي بين الدولة العلية وسمو الأمير بأنه لماً للشمل , فإن هذا يتنافى مع العقل , لأننى أرى أنه صَدَر ممن يكنون نوايا سيئة تجاه بخارا وتجاه منطقة نفوذ سمو الأمير , ويسعون لتأجيج الخلاف .

فقال سمو الأمير لقد سعوا إلى توسيع أعمال الفساد , فماذا سيفعلون بعد ذلك . وقد اكتفى بهذا الحديث فى المجلس الأول ولم يزد .

وقد نزل صاحب المقام الرفيع القس يوسف ولف فى (قلعة) چهار باغ لدى النائب عبد الصمد خان التبريزى الذى كان يشغل منصب المسئول عن القطاع العسكرى والمدفعية فى ذلك المكان كما نزل الأصحاب السابقون[1] هناك أيضا .

(1) من المحتمل أنه يقصد هنا من لفظ الأصحاب السابقين استودارت وكونوللى الذين قتلا بأمر الأمير . وهما ضابطين بريطانيين أرسلتهما بريطانيا متتاليين كل على حدة بصحبة بعثة دبلوماسية إلى الأمير نصر الله أمير بخارا لإقامة علاقات ودية بين الحكومة البريطانية وحكومة بخارا . وكانت البعثة الأولى برئاسة الكولونيل ستودارت فى عام 1248 هـ / 1838 م , وقد عرضت هذه البعثة على أمير بخارا استعدادها لتقديم المساعده له اذا ما تعرضت بلاده لخطر أى غزو خارجى , ولكن أمير بخارا قبض على استودارت

وقد قضى ما يقرب من ساعة ونصف الساعة فى المجلس بين شد وجذب فى الحوار , فطلبت الإذن وانصرفت . وقبل أن أهم بالخروج , تم عرض الهدايا والتحف التى أُهديت وأُرسلت من قبل الدولة العلية , على شقاول (رئيس الديوان) , فقام هو بدوره بعرضها أيضا على سمو الأمير , طبقا لما تقتضيه المراسم .

(ص 36) وكان القرار أن نضع فى اليوم التالى الهدايا والتحف أمام الحضور , فنقحوها ورتبوها فى عدة مجموعات , ووضعوا الهدايا والتحف فى مجموعة , بترتيب جميل لائق , وفى هذا اليوم , حضر جميع أكابر وأعيان بخارا المجلس أيضا مع الشقاول (رئيس الديوان) , وقد حضروا جميعا فى نفس الحجرة التى كان يجلس فيها سمو الأمير بمنتهى التواضع , ولما كانت (الهدايا والتحف) تفوق تصور الأمير , فقد شعر بالسعادة والفرح , وأخذت أعرض وأفسر لكل واحد على حده ما يليق أن يعلمه .

وبناء على ما فاضت به قريحة كل منهم , أخذوا يضيفون ما يرونه من تعريف ووصف.

وبعد ذلك توجه سيادته إلى الحضور بالخطبة التالية : الحمد الله أن ولايتنا ومملكتنا سوف تكون فى غاية النظام بعد هذا التنسيق . وازداد اسلامنا قوة وشوكة بسبب توجهات أولياء الدولة القاهرة . ولذا ينبغى على الأعداء بعد ذلك , أن يتدبروا أمرهم , ويعملوا فكرهم , لأنه لن تكون لهم قدرة على مقابلتنا ومجابهتنا . وقد عاهدت الله أنه مادامت أمور أسرتنا وعشيرتنا مستقرة , فإنا لن نتخلى عن ارادة وطاعة الدولة الايرانية العلية .

بعد لقائه بيومين وأودعه فى السجن لمدة أربع سنوات , وكان الضابط آرثر كونوللى قد توجه فى عام 1840 م فى بعثة دبلوماسية أخرى إلى خيوه وخوقند ولكنه لم يوفق فيهما فاتجه إلى بخارا وما إن وصل إلى معسكر أمير بخارا بالقرب من خوقند حيث كان فى حملة حربية حتى قبض عليه وأرسله إلى بخارا وأودعه فى السجن , وقد حاولت روسيا أن تتوسط لتحريرهما من سجنهما على الرغم من عدائها لبريطانيا فى ذلك الوقت ولكن محاولاتها بائت بالفشل , وقام الأمير فى عام 1842 م باعدام استودارت ثم كونوللى علنا فى حضور جمع من الناس . حيث كان أمير بخارا مثله كمثل بقية أمراء يلاد ماوراء النهر , لا يرى جدوى فى مودة تعرضها دولة أوربية حتى أنه قد رفض أيضا إقامة علاقات ودية مع روسيا فى ذلك الوقت . حيث كان يري أن لهم جميعا ميولا استعمارية تجاه المنطقة آخذا العظة من احتلال بريطانيا للهند , وأفغانستان التى فر أميرها من كابل إلى بخارا هربا منهم .

ارمنيوس فامبرى – تاريخ بخارى – الترجمة العربية (أحمد محمود الساداتى) – ص 446 – 450 .

والسيد عبد المؤمن السيد أكرم – أضواء على تاريخ توران – 125 , 126 . (المترجم)

وقالوا كلاما من هذا القبيل أكثر مما تم إيراده فى سياق ما تم تحريره , وبعد انتهاء هذا المجلس استضافونى فى مَقّر المشرف على شئون الطعام فى القصر (دستور خانچى)[1] الذى كان على درجة وزير . وكان مَقّر الوزير يجاور مَقّر سمو الأمير , وأحضروا الحلوى والشاى والغداء على سبيل التكريم . وبعد نصف ساعة , توجهنا إلى المنزل لننزل ضيوفا على المشرف على شئون الطعام فى القصر , الذى قرر إعطائنا نفقاتنا , فجاء الممثل الشخصى له وسأل ما قيمة نفقاتكم , من وجهة نظركم وما هو تكلفة اليوم كله نقدا , فأجبته قائلا هناك فرق بين المال والصدقة المباركة من قبلة العالم والعالمين روحنا فداه , ونحن نوجه عناية الأمير أننا لسنا بحاجة إلى الأموال , وكل ما تطلبونه من أموال منا فهو متوفر لدينا , ولكن عندما نكون ضيوف سمو الأمير , فهم يرغبون أن تكون أقواتنا وأموالنا تبن وشعير[2] . فأعطونا نفقاتنا يوما بيوم ولن نكون بحاجة إلى أموال نقدية . وبعد التردد على المكان لعدة أيام , أصدروا قرارا بشأن ميزانية النفقات . وتم الاتفاق على تحديد موعد للقاء سمو الأمير مرة أخرى بعد يومين .

(ص 37) وقد تم عرض الاحتياجات الحكومية فى ذلك المجلس , وكان أول أمر تمت مناقشته فى ذلك المجلس هو موضوع الأسرى , وذلك بأمر من الدولة الايرانية العلية , فقد كان هناك مجموعة من الايرانيين قد أُسروا هناك , وقد أحلوا بيعهم وشراءهم , وليس من الجائز او المباح بيع أو شراء هؤلاء طبقا لتعاليم الاسلام , لأن كل أهل ايران وتركستان يدخلون ضمن الفرقة الناجية ومن أمة حضرة خير البشر عليه الصلاة والسلام .

ومن قبيل نظرية الاتحاد فى الاسلام والأخوة الدينية فإنه من القبيح أن يتم تداول مثل هذا القرار بين المسلمين , حيث إن هذه الفعلة لن تثمر شيئا سوى ضعف الاسلام وغلبة وقوة الكفرة الضالين . وقد

([1]) دستور خانچى : هو منصب من مناصب البلاط فى تركستان وهو يعنى السفرجى أوالموكل بالمائدة أو المشرف على خدمة الضيوف على السفرة , وقد ذكر المؤلف فى متن الكتاب أن القائم على هذا المنصب كان على درجة وزير , مما يشير إلى أهمية ذلك المنصب , وهو أيضا لفظ جغتائى .
شيخ سليمان افندى اوزبكى البخارى – فرهنگ جغتائى فارسى – ترجمة فارسى– ط 1 – ص 349 .(المترجم)

([2]) طلبوا التبن والشعير لأنهم كانوا يعانون دائما من نقص المؤن الخاصة بالرحلة من الأعلاف لخيولهم ودوابهم . (المترجم)

أجمع أولياء الدولة على أن يصدر سمو الأمير أمراً بصدد هذا الموضوع , إلى كافة أرجاء دولته , ينُص على وجوب اطلاق سراح كل أسير ايرانى فى شتى أرجاء الدولة , وأن يعامل معاملة حسنة , مما سيكون سببا فى رضا الخالق والخلائق , وباعثا لإتحاد الدولة العلية مع سمو الأمير .

أما الأمر الثانى فهو بخصوص مملكة مرو التى كانت تعد منذ عهد منوچهر وحتى الآن جزءً من مملكة خراسان , ووالى خراسان كان دائما صاحب الحل والعقد والتصرف هناك , وقد كانت موطنًا ومأمنًا لقبيلة قاجار الجليلة . وقد إنفصلت بعض الشئ عن مملكة خراسان بسبب تقلب الأعوام والدهور وتغلب حكام الظلم والبهتان , وينبغى ألا يتدخل شخص بأمور الحل والعقد فيها فيما بعد كما كان فى السابق .

فأجاب سمو الأمير قائلا : أولا , بالنسبة لموضوع الأسرى فإن حكم الدولة العلية بشأنه هو عين الصدق ؛ ولكن بيع وشراء هؤلاء ليس من جملة اختراعاتى أنا وكذلك آبائى وأجدادى , ولكن علماءنا السابقين هم من أفتوا منذ قديم الزمان بهذه الفتوى وقد عمل بها عامة الناس .

ومن الصعب إنهاء هذا الأمر بهذه السرعة . فينبغى أن يجلس علماء ايران وتركستان معاً ويبينوا حقيقة هذه المسألة شرعا , حتى تلغى هذه الفقرة من عندنا . لأن ترتيب هذه القضية الشرعية وتمهيد الحديث فيها , لا يكون فى مجالس الصداقة , لأن مثل هذا المجلس لن يوافق على ضم هذه المسائل . فقلت أنا العبد إن (ص 38) توضيح هذه المسألة ربما لا يحتاج كلية إلى عقد اجتماع , فإن فقرة الناجون فى الاسلام توضح بعض أمور الأسير والقتيل وتوضح تُعرُض بعضهم للبيع والشراء , وهى (قضية) تتجاوز حدود الدين والشريعة وتبعد عن مسألة الإنصاف والعدل . فعلى الرغم من أننى رجل من العوام وخادم إلا أننى لو سمح سمو الأمير باستدعاء علماء بخارا فإنى سوف أتصدى لأمر مناقشتهم (فى هذا الشأن) .

فقال سمو الأمير الآتى : أولا هنا تركستان ويصعب التمهيد لهذه المقدمات . ثانيا يصعب التحاور مع العلماء , والتحدث معهم له قواعد . ولا يمكن منع ودحض هذا الأمر فى مخيلة أهالى هذه المنطقة , ولكن بمرور الأيام والدهور إن شاء الله الرحمن وبعد إبرام الوحدة بيننا وبين الدولة الايرانية العلية , وكذلك بعد كثرة المخالطة والاحتكاك وتزايد حركة تناوب اللقاءات فيما بينهم , سوف يتحقق هذا الأمر . فلا يمكن تغيير أو تبديل عادة قديمة استمرت لعدة سنوات فى وقت قليل . ومنذ اليوم الذى صرحتم فيه لنا برغبة أولياء الدولة العلية فى تحقيق هذه الأمنية , أخذنا نمهد لهذا الأمر , فأرسلنا رسائل إلى كافة أنحاء مملكتنا بألا يقدموا على هذا الأمر بعد اليوم , وألا يعرضوا عباد الله المسلمين للبيع والشراء .

أما الرد على مسألة مرو , فإن طوائف ساروق وسالور وتكه قد أجمعوا على أنهم قتلوا محمد نيازباى ملك اركنج مع ألف ومائتى شخص . وقد كان ملك اركنج قد شرع فى معاداتنا . ففى الوقت الذى كنت قد ذهبت فيه إلى مشارف خوقند , كان قد أتى إلى ولايتى وحينها كان لا يوجد فى بخارا وكافة أنحائها فرقة واحدة من جيشنا, فحاصر مدينة چهار جوى وطرد حوالى أربعين ألف أسرة , والآن نحن بصدد الاستيلاء على خوقند خلال اليوم وغدا , ولما وصله نبأ معاودة الهجوم على چهار جوى , فر من هناك وذهب إلى اورگنج . وبعد ذلك تجمعنا وتعقبنا أثره حتى هزار اسب , وحاصرناه فى هزار اسب لمدة ثمانية عشرة يوما . وقد وجد حضرات التراكمة ذلك اليوم فرصة لقتل محمد نيازباى , فأحضروا رأسه و رؤوس من قتلوا معه جميعا إلينا فى هزار اسب , وأبدو رغبتهم فى أن يكون الحاكم منا , وعلى الرغم من أنهم قد تعاونوا معنا فى هذا العمل , إلا أنهم قد قتلوا الحاكم الذى كان من قبلنا , ولا يمكن أن يُعتدّ بقول هؤلاء ولكن لم يكن هناك مفر (ص 39) من أن تسقط المملكة , فسادت الطرق والشوارع حالة عارمة من الفوضى , فعيَّنا حاكما لهم وأرسلناه إليهم لتأمين الطرق .

ولما ثبت لذلك الحاكم أنه يعجز عن إدارة شئون التراكمة , جاء إلى بخارا بعد ثلاثة أشهر خوفا على حياته , وهو الآن قعيد المنزل , وقد جاء التركمان عقب ذلك مرتين وطلبوا أن نعين لهم حاكما من قبلنا , بسبب خوفهم من ملك اورگنج . فأوفدنا إليهم حاكما آخر هو اوراق خواجه وهو الآن الحاكم المعين عليهم . وينبغى أن تحمل ميزانيتها من بخارا , ولذا حينما جاء شخص من الدولة العلية لضبط وإحكام أمورها , رفضنا , أو استأنا من مجيئه , وهذا هو الموقف الحق , حتى لا تصبح مدينة مرو مثل سابق آباد , فالتركمان ليسو الرعية هناك , ولن يستطيع حاكم أن يحكم من أى جانب , أما بالنسبة إلى مجموعة الأوامر التى صدرت من قبل جناب الأجل الأعظم , قبلة أمم السادة , دام مجده العالى , فى شأن صاحب المقام الرفيع يوسف ولف , وكذلك بالنسبة لموضوع أسرى ميرزا محمد تقى المنجم , فقد أخبرنا سمو الأمير , فليعلم الجميع , أنهم قد أصدروا أمرا مستعجلا إلى المشرف على شئون الطعام فى القصر (دستور خانچى) وهو بمثابة وزير , بأن يبحثوا عن أسرى ميرزاى منجم فى منطقة كركى التى تبعد عن بخارا حوالى أربعين فرسخا , وضرورة أن يذهب الآن ثلاثة من حراس القصر ويقبضوا عليهم جميعا ويسلموهم إلى يد الميرزا .

ولأن هذه هى رغبة جناب الأجل الأكرم حاجى سلَّمه الله , فينبغى ألا يتهاونوا أو يتكاسلوا فى التنفيذ , وقال المشرف على شئون الطعام فى القصر أطلبوا أنتم ميرزاى منجم وأسبغوا عليه الكثير من العطف

وذلك بقولكم إنه آدميٌ , وأنه رسالة الأمير المباركة , وقد تعاقبت وفود أسراكم على منطقة كركى حيث كانوا يتواجدون هناك , وسوف يلحقون بكم بسرعة .

وتداولوا حكاية صاحب المقام الرفيع يوسف ولف فيما بينهم مرة أخرى , فقالوا : لقد عفونا عنه من أجلكم وسلمناه لكم , فاهتموا به إلى حين عودتنا من سمرقند ثم اصطحبوه معكم عند ذهابكم إلى الدولة الايرانية العلية , حتى يفرغ البال (من أمره) بعد اليوم , فنكون قد أحطناه باللطف والعناية مرضاة للدولة العلية .

فأرسل فى التو فأحضروا يوسف ولف من منزل عبد الصمد خان وأرسلوه إلى منزل العبد الله . وعندما رأيت المشار إليه , كان على درجة من الاضطراب والارتباك وكأنه (ص 40) قد فقد عقله .

ومهما حاولت أن أطمئنه كان لا يفيق مطلقا , وقد ظل مدة عازفا عن الطعام , خشية أن يكون مسموما , وبعد ذلك اتفقنا أن يعطوه عشاءه وغذاءه ويتم طبخه فى منزلى , وأرسلت إليه عددا من الخدم لخدمته على ألا يغفلوا عنه ساعة واحدة .

وقد تم الاتفاق على أن تكون الجلسة الثانية هى آخر لقاء مع حضرة الأمير , وأن أبحث فيه أحوال الولايات الايرانية وعلاقات الصداقة التى تربط بين الدولتين الروسية والانجليزية بإيران , وقد أجبتهم بالرفض من أجل مصلحة ورفعة الدولة , وعدت إلى المنزل مرة أخرى , وفى الصباح التالى جاء خادم من قبل الأمير , بأن حضرة الأمير قد سمع من خليل خواجه أنكم لديكم بنادق وسيوف هندية و أسنة من الجواهر ومسدسات انجليزية وساعة وأدوات ذهبية وسكين وخنجر مرصعين وأدوات شاى وقهوة من الذهب والفضة وشيشة ذهبية وفضية . وقد أمر حضرة الأمير أن تسلموا هذه الأمتعة حتى نراها . فسلمت جميع الأمتعة المذكورة للخادم .

وبعد ثلاثة أيام أحضروا الأمتعة جميعها , فيما عدا سيفين كان أحدهما هندى وله جراب ذهبى و قد قالوا أنه كان للمرحوم المغفور له الخاقان رحمة الله عليه , والآخر هندى أيضا ويخص العبد لله , فقد تم الاحتفاظ بهما . وقد قيل إن حضرة الأمير قد رغب فى السيفين وتم الاحتفاظ بهما . فقلت هذه المعدات لا تليق بأن تكون هدية لسمو الأمير , وإذا كان يرغب فيهما , فنحن نريد أن نهديه أيضا كل هذا المتاع علاوة على هذين السيفين .

عندما حان وقت العصر , أحضر السيفين وقال إن سمو الأمير قد أشار إلى أن أحدهما عليه الختم المبارك الخاص بالخاقان غفر الله له , ويجب أن يظل فى الأسرة من دواعى الافتخار , أما الآخر , فإنه لن

يعد عيبا أن يأخذه سمو الأمير إن كنتم ترغبون. فأجبت : بأننى كنت قد أهديت كليهما لسمو الأمير , والحمد الله فإننى لدىَّ من عطايا قمة قبلة العالم , روحنا فداه , حزام وسيوف متعددة فى غاية الجمال , فإنى وإن كنت أريد أن أظل آخذ من الدولة العلية , فإن كليهما مبارك على سمو الأمير .

(ص 41) فأجابنى ثانية إن أحدهما يعد أثرا من الخاقان غفر الله له , ولكننى سوف أقبل الآخر .

فصار واجبا علىَّ أن أرسل إلى سمو الأمير نفس السيف بالإضافة إلى بندقية وحربة لها جراب من الجواهر فى غاية الجمال , وكيس مخيط من الؤلؤ , وست علب فضية للتحنيط , وقد أضّفَت هذه الأشياء الكثيرة نوعا من البهجة على العلاقات حيث حازت جميعها القبول , وبعد مرور ساعتين من الليل , جاء قائد عسكرى إلى منزل العبد لله , بأن سمو الأمير قد قال بأنه طبقا للإتفاق المبرم فإنه ينبغى أن نذهب إلى سمرقند لمدة خمسة عشرة يوما , وقد أوصيت الوزير عليكم , وبأن يكون فى خدمتكم خلال فترة غيابنا , وأنه يمكنكم الرجوع إليه . فكان الجواب أن العبد لله ليس له شأن أو مطلب سوى قصة الأسرى , وكان سمو الأمير قد شمل الأسمير (القس) يوسف ولف برعايته وعطفه وسلمه إلىّ ومنحه العفو .

تحرك سمو الأمير فى الصباح الباكر إلى سمرقند , وقد استغرقت الفترة منذ مجيئي حتى ذهاب الأمير إلى سمرقند حوالى ثمانية أيام . ومجمل اللقاءات التى تمت (معه) خلال هذه الفترة حوالى ثلاثة أو أربع مرات .

مضى خمسة أيام على رحيل الأمير , وكانت مُحصلتها أنهم قد جاءوا بجندى ومدفعية وفارس مع عبد الصمد خان النائب , وقد استغرق إشرافهم على مدى تأهب المدفعية يومين , فقد كانوا قد حولوا مبلغ المائة ألف تومان التى سوف يتم تحصيلها من بخارا ونواحى بخارا .

حملوا ما جمعوه وابتعدوا به مسيرة يومين , وكان كلما أراد أن يتجه بالجيوش نحو هذا المكان ويأخذ ما يحتاجه من أموال , يقوم أهل بخارا بإعطائه أموالا على سبيل القرض وكانوا يطلقون على هذا المال اسم جعل پولى [1] .

(1) جعل پولى : هو المال الذى يقرضه الناس إلى الدولة وهو مصطلح يعنى استدانة الدولة من الناس . ويسدده الناس على صورة أقساط دورية وكان يقال لها قديما الحساب الجارى , وذلك للإنفاق منها على شراء الأشياء الطارئة الضرورية . سفر نامه بخارا – ص 91 .
وحسن عميد – فرهنگ فارسى عميد – ص 331 – تهران 1389 م . (المترجم)

فإذا ذهب وأنفق المال فذلك جيد جدا و إذا لم يذهب , قسم الأموال مرة أخرى وأعادها إلى أصحابها , أما إذا ذهب وأنفق بعضه وتبقى البعض الآخر لديه (من هذه الأموال) , أعاد ما تبقى من أموال ووزعها بعد تقسيمها .

وبعد أخْذ الأموال , وذهاب الضابط والمدفعجى , اتجه إلى خوقند مباشرة , لأن الفوضى كانت قد بدأت تتسرب إلى إدارة حاكم خوقند . وتفصيل هذا الاختصار , أنه كان قد ذهب فى وقت سابق إلى خوقند عدة مرات أثناء حكم محمد عليخان حاكم خوقند , حتى انتهى الأمر (ص 42) بمقتل محمد عليخان مع أبناءه وبناته وزوجته وأمه وجميع أفراد طائفته على يديه , واستولى على خوقند .

وقد كان لدى سمو الأمير مسئول يتولى أمر ايصال الرسائل بين الامير وباقى الجهات [1] , فولاه حكم خوقند وجعل تحت إمرته خمسة آلاف نفر . فاستطاع أن يضم بقية المدن التابعة لخوقند إلى الممالك التى تقع تحت سيطرته , وكان حاجى شير عليخان فى ذلك الوقت حاكما لخوقند , وهو من بنى أعمام محمد عليخان . وكان قد هرب فيما سبق خوفا من محمد عليخان و إندس بين أفراد قبيلة ختا قبچاق , تارة فى العلن وتارة فى الخفاء ؛ وبعد مقتل محمد عليخان , تغاضى عن أمر حكم ابراهيم پروانچى حوالى ثلاثة أو أربعة أشهر . وعندما شرع سمو الأمير فى تخريب خوقند ونواحيها , لا سيما وأن ابراهيم پروانچى قد خالف الأعراف القانونية , فكان لا مفر من أن يجتمع أهالى قبيلة ختا قبچاق والمناطق التابعة لخوقند وشرعوا فى الاتصال بحاجى شير عليخان وتحركوا مجتمعين وأتوا إلى خوقند .

علم ابراهيم پروانچى بهذه التحركات , وعندما رأى أن أهل خوقند جميعا لا يريدونه , وأن بخارا تبعد بمقدار مسيرة عشرين يوما , مما يؤخر وصول الإمدادات . وجد أنه لا مفر من الفرار باختياره وأن يأتى إلى بخارا .

وحتى يحقق حاجى شير عليخان الاستقلال والاستقرار التام داخل خوقند , قتلوا كل من وجدوهم من أقارب الأمير فى ولايات خوقند وخجند وتاشكند وكافة نواحيها .

وقد استقرت الأحوال هناك لمدة عامين لحاجى شير عليخان . وكان سمو الأمير قد ذهب إلى سمرقند خلال تلك الفترة , وقد كان لحاجى شير عليخان ابن مجنون , كان على خلاف مع والده , فنشب نزاع

([1]) ذكر المؤلف فى النص الفارسى أن الأمير كان لديه منصب يسمى پروانچى وهو منصب فى امارة بخارا , وتعريف هذا المنصب كما ورد فى حواشى المحقق , عند أهل بخارا , هو مسئول ايصال الرسائل الأساسية من قبل الأمير إلى مختلف الجهات . (المترجم)

بين الابن والأب فى مدينة خوقند . وكان قد اتخذ لنفسه لقب پسر مير عالم (ابن الأمير العالم) اسما شخصيا له , واشتهر بين قبائل الختاقبچاق به. وقد أراد أن يغتنم فرصة اضطراب الأسواق بسبب تعرضها للسرقة , فحرض خمسة آلاف شخص من كاشغر من أهالى ختاقبچاق , بالإضافة إلى حوالى مائة ألف شخص من أفراد عشيرته , على السير إلى مشارف خوقند .

فرأى ابن حاجى شير عليخان أنه ليس لديه القدرة على المقاومة , فآثر الهرب بنفسه إلى سمرقند , وجاء عدة أشخاص من أعيان خجند إلى سمو الأمير وكلفوه بالذهاب إلى خوقند . (ص 43) فأخذ سمو الأمير يعد العدة لخوقند , وكان ابن أمير عالم قد أغار على أطراف خوقند , فقامت معركة ضروس بينه وبين حاجى شير عليخان , انتهت بهزيمة حاجى شير عليخان وسقوطه أسيرا فى قبضة ابن أمير عالم , ودخلت خوقند تحت سيطرة ابن أمير عالم , فاتجه سمو الأمير مع أعيان خجند برفقة ثلاثة آلاف شخص إلى خجند .

وكان أهالى خوقند قد أصيبوا بأضرار شديدة من قبل سمو الأمير , لما عانوه على يديه من قتل ونهب شديدين , فجاءوا جميعا إلى ابن أمير عالم وقالوا له إذا أتى سمو الأمير فسوف تتكرر تلك الحكاية السابقة , ولن تكونوا سعداء عند مجيئه , وأطلقوا صراح حاجى شير عليخان .

فاتحد ابن أمير عالم مع أهالى خوقند , ورأوا أنهم لزاما عليهم طاعة حاجى شير عليخان , وأن يُجلسوا المشار إليه مجددا على العرش , و اتفقوا جميعا على أن يمنعوا سمو الأمير , كما أرسلوا أيضا شخصا إلى خجند , بأن لا تعترضوا طريق الأمير حتى يصلكم جيش من جانبنا , ثم قاوموه بكل ما لديكم من قوة .

فتحرك سمو الأمير من سمرقند إلى مدينة جرق [1] التى كانت قد دخلت تحت طاعة الأمير وهى على بعد سبعة فراسخ , ثم تحرك من هناك إلى قلعة أُرتپه وهى قلعة حصينة جدا ومنيعة , وتقع على بعد خمسة فراسخ , وهى مؤهلة لإدارة العمليات العسكرية من الداخل . ولكنهم كانوا غير مطمئنين للحاكم الذى كان يجلس فى أُرتپه , فقبضوا عليه , واجلسوا مكانه شخصا آخر يطمئنون له تماماً , ثم توجهوا إلى مدينة خجند التى كانت على بعد عشرين فرسخاً , بصحبة ابن حاجى شير عليخان والأعيان .

(1) هى نفسها مدينة جرغ .

وعند الاقتراب من خجند , بدت لهم تلك القلعة الحصينة , فمنعوه من الدخول إلى القلعة , فقد كان يحدها من جهة خجند , نهر كبير يسمونه نهر سير , أما من الجهة الثالثة يحدها قلعة أخرى , وهى قلعة حصينة أيضا .

وطبقا لمراسم الحروب , أخذ عبد الصمد خان يؤمن رجاله , فحفر خندقا لهم , ثم أشعل نار الحرب والقتال .

فأرسل سمو الأمير الأعيان إلى القلعة ليستميلوا أهلها . وبعد (ص 44) دخول مبعوثى الأمير , قبض الحاكم الموجود هناك عليهم , ثم انصرفوا إلى القتال , فدارت بينهم حربا شعواء صمد فيها عبد الصمد خان التبريزى كثيرا وأبلى فيها بلاءً حسناً , حيث واصل قذفهم بالقذائف لمدة ساعة دون هوادة , فأجبرهم على التراجع بقواتهم , وهدموا عددا من أبراج خجند , وقد استمر القتال لمدة ثلاث أيام بلياليهم .

وعندما رأى الأوزبكية أيقن أن فتح خجند قد أوشك , فأظهروا لعبد الصمد خان العداوة التى كانوا يخفونها , وعزفوا أن يقدموا له الامدادات فى الخنادق . وفى تلك الأثناء , وصل خبر بأن مسلمان قول جاء إلى أطراف معسكر الأمير , بصحبة محمد نظربای قره قويوز على رأس اثنا عشر ألف شخص من قِبَل حاجى شير عليخان . فشعر أهل المعسكر بالقلق , فآثر سمو الأمير العودة , وعاد إلى أُرتبه .

فقام الفرسان بتعقبهم وقتلوا ما يقرب من ألف ومائتى شخص ؛ وقد كان ابراهيم پروانچى قد اقترح على سمو الأمير قبل أيام , بأن اعطنى ابن حاجى شير عليخان مع ستة آلاف رجل لأعبر نهر سير , وأستوليّ على تاشقند , وبذلك أكون قد أصبحت على مشارف خوقند . فوجهه سمو الأمير إلى حيث ما طلبه , فوصلت أخباره إلى مسلمان قول ومحمد نظربای قره قيوز وهو لم يصل إلى حافة النهر بعد . فذهب إلى مقابلة ابراهيم پروانچى ليلا , وذلك لأن خبر مجئ محمد نظربای ومسلمان قول قد وصل إلى مسامع حلفاء ورفاق ابراهيم پروانچى , ثم اتجه إلى معسكر الأمير على الفور دون التفكير فى الحرب , وعندما حاول الفرار , ذهبت جماعة مسلمان قول ومحمد نظربای لتعقبهم , فأسروا منهم مجموعة وقتلوا بعضهم , ثم عادوا .

فشكل سمو الأمير هناك أمور أُرتبه على نحو نموذجى , وأحضر الحاكم المحبوس برفقته إلى سمرقند , ونقل كذلك حاكم خجند وجميع أفراد أسرته , مع ألف عراده , وطحن محاصيل أُرتبه وحملها على العرادات وأرسلها إلى خجند , وأحرق الباقى , ثم أخذ يدمر خجند انتقاما .

وبعد استماع سمو الأمير لهذا الخبر , أدرك إنه ليس من المصلحة البقاء فى سمرقند , فتوجه إلى بخارا , وجاء إلى بخارا وبرفقته الحاكم المحبوس أيضا , وفى هذه الأثناء كان الوزير (ص 45) يرسل إلىَّ أنا العبد لله يوميا بياناً مفاده إنهم فتحوا خجند و تاشكند {طشقند} , ولكن كان لدى العبد لله أخبارا أفضل منهم , لأنه كان هناك تاجرا كان قد تعرف على العبد لله وكان يبلغنى بالأخبار يوميا . حتى أننى قد نما إلى علمى يوم دخوله إلى مدينة بخارا مع عبد الصمد خان النائب فى الخفاء ؛ وقد علمت أنه يكن فى صدره غضبا من سمو الأمير . وكان يأتى إلى العبد لله بيانا بأحوال خجند وبسائر الأخبار الأخرى . وقد كنت على علم تام بمن هم أنصار سمو الأمير , وأيهم الخائن .

عندما كان سمو الأمير مشغولا بمحاصرة خجند , كان الرسم يقتضى أن يأتى مبعوث يوميا إلى الوزير , ولكن انضباط أعمالهم بلغ الدرجة التى يصعب معها اطلاع أحد على أخبارهم , وأصبح لا يستطيع أحد من المعسكر أن يسجل الأحداث .

حتى إنه عندما جاء المبعوثون , فإنهم لم يحضروا سوى مكاتبات الأمير , ولم يتحدثوا عن أحوال المعسكر , وحتى الأوراق التى أحضروها لم يطلع عليها أحد سوى الوزير , وكانت أحوال وزيره قد بلغت أنه لم يكن لديه الحرية المطلقة لأن يتصرف بتلقائية مسبقة دون أن يتلقى مرسوما من سمو الأمير , بحيث كل ما يصدره من أوامر هو ما ينفذ فقط . وفى اليوم الذى دخل فيه سمو الأمير إلى بخارا , فقد أخبروا الناس بأن يخرجوا جميعاً لاستقباله , فيما عدا بعض الأشخاص تقديرا لمكانتهم , وهم قاضى القضاه وسادات جوبياره الذان كانا أولاد الشيخين , حيث كانت لهما مكانة كبيرة , وكانت ابنة الأمير فى منزل إبنها , والآخر هو العبد لله حيث منحوه هذه المكانة , فجلست على إنفراد مع سمو الأمير حيث كان قد حضر من السفر .

وخلال هذه المدة التى مكثت فيها هناك , لم يكن أعضاء المجلس يتحدثون مع بعضهم البعض , ولا مع العبد لله . فلم يكن لأحد القدرة على التحدث بسبب هيبة الأمير , ولم يكن لدى أى شخص المقدرة على أن يذهب إلى منزل شخص آخر , وفجأة علت أصوات الطبول ؛ ايذانا بدخول سمو الأمير . فدخل السادة الحضور أعضاء المجلس على الفور وألقوا التحية , فأجابهم الأمير , ثم تقدموا وقَبَلوا يد سمو الأمير .

فحذوت أنا العبد لله حذوهم فى كل شئ , فأبدو لى الكثير من الاهتمام والعطف . وعندما مضى حوالى ربع الوقت المخصص لهذا الاجتماع , تفرق الناس , وذهب كل شخص (ص 46) إلى منزله .

فإن الأوضاع والظروف ومروءة وسلوك ولباس وأكل وشرب وجلوس وقيام أهل أُزبكية لا تجعلهم يتدخلون مطلقا فى شأن سائر الولايات الأخرى , وذلك بسبب ما لديهم من أسلوب عجيب وآداب غريبة . فقبل أن يتحرك سمو الأمير إلى ناحية خجند بحوالى ثلاثة أيام , أعطى عشرين قطعة ذهبية إلى شخص تركمانى , حتى يسجل وقائع زيارة الأمير لحاجى قاسم طهرانى , فى أرض أقدس (مشهد) , فأظهر انطلاقه إلى دار الخلافة .

وأوصلوا التركمانى المذكور إلى مشهد بعد ستة أيام , فسلم المكاتيب . وبعد مراجعة سمو الأمير بخصوص السفر , دون أحداث سفره وعرضها كاملة , وانطلق إلى أرض أقدس بصحبة التركمانى , الذى كان قد أخذ الخمسة وعشرين قطعة ذهبية , وأوصلوا تلك المكاتيب خلال ستة أيام إلى حاجى المشار إليه فى مشهد .

وكان اليوم الذى دخل فيه سمو الأمير إلى بخارا هو الثانى من رجب المرجب , الموافق يوم الجمعة , وذلك قبل الغروب بساعة . وقد وصل مكتوب من السيد الجليل آصف الدولة , والمرسوم الملكى الخاص بمن خضعت له الدنيا وعبيد أطهر مملكة روحنا فداه , مع شخص تركمانى , يدعى ملا كاظم , كان موجود عند التجار الطهرانيين , وقد حمل المرسوم الملكى المبارك لتسليمه للعبد لله . وعندما فتحت رسالة صاحب السعادة آصف الدولة , وجدت أنهم كانوا قد كتبوا للعبد لله مرسوما ملكيا من قبل الملك المطاع , بخصوص تحرير صاحب المقام العالى يوسف ولف المبشر المسيحى . فكان لزاما علىّ أن أوصل المرسوم الملكى المبارك إلى سمو الأمير باسلوب لائق , فلو كانت الحكاية تخص يوسف ولف , فيجب أن تزال . فعلى الرغم من إن العبد لله كان قد تسلمه من سمو الأمير , منذ شهرين سابقين , إلا أن الأمير لم يستقر في أمره على رأى بعد , وكان الأمر يتغير فى مخيلتهم من ساعة إلى ساعة . وكان قد نما إلى علم العبد لله أنه قد أرسل فى تلك الليلة شخصا فى إثر شقاول (رئيس الديوان) .

فقلت أخبر سمو الأمير , أن الأمر المبارك قد وصل من الدولة العلية , وينبغى أن أضعه تحت نظر سمو الأمير غدا فى الصباح . فقال شقاول (رئيس الديوان) : ما هو مضمون الأمر ؟ فقلت : لا ينبغى الافصاح عن موضوعات دولة لأحد سوى إلى دولة , وسوف أطلع سمو الأمير عليها .

فأطلعت الأمير عليها فى نفس الليلة , خشية أن يصل الأمر مكتوب إلى سمو الأمير قبل أن يعرضه العبد لله , (ص 47) حيث كان فلان قد أخفى فرمان الشاه المكتوب , وذلك لأن هناك حوالى ستمائة

أو سبعمائة شخص لديهم موضوعات مكتوبة (عرائض) , إذ كانوا مضطرين لأن يكتبوا إلى سمو الأمير كل ما يرونه أو يسمعونه .

فذهب شقاول (رئيس الديوان) إلى سمو الأمير وقال , لقد أشرق الصباح , ولقد أمر الأمير أن أعطونى الأمر المبارك , أحمله أنا . فأجبت : إن فرمان الملك مخضع الدنيا , ليست رسالة تخص أمر من أمور التجارة حتى أعطيها لكم لتحملوها , فينبغى أن أسلمها بنفسى إلى يديه , وأسمع الجواب شفاهة.

فأجبته باسلوب خشن , فذهب , ثم عاد , بأن سمو الأمير كان قد أمر أن يكون منهجنا , أنه إذا أتى سفير أو مبعوث خاص من أى دولة , عليه أن يقدم فى البداية ورقة أو خبر لأوصلها , وبعد ذلك يقدم الخبر أو الورقة إلينا .

فأجبته أنا العبد لله قائلا : إذا كان منهج تركستان هكذا , فإن منهج ايران ليس هكذا. فذهب مرة أخرى , ثم عاد بسرعة وقال : لقد قال سمو الأمير تعالى بعد ساعة أخرى , وأحضر فرمان الشاه المبارك . ففهم العبد لله أن تأخير اللقاء لساعة أخرى بهدف تجميل وتغيير الأوضاع .

وبعد انقضاء الساعة , جاء شقاول (رئيس الديوان) مع المكلف بإجراءات استقبال الضيوف , فاستقل العبد لله ركوبته وتوجهنا إلى القلعة . وكانوا قد هيئوا جمع من الناس على البوابة ولكنهم كانوا ممن يعملون فى خدمة الأمير وكان لايزيد عددهم عن ثلاثة أو أربعة أشخاص من الأكابر والأعيان .فدخلت إلى مجلس سمو الأمير وجلست فى المكان المحدد , وأوصلت فرمان الشاه المبارك بالطريقة السابقة . وقد قام الشخص المقرب من سمو الأمير بإبداء رغبته فى أخذ الفرمان وتسليمه إلى الأمير . ولكن العبد لله لم يعره اهتماما , فقبلت فرمان الشاه المبارك , وسلمته إلى يد الأمير . ففتح فرمان الشاه المبارك وقرأه من البداية إلى النهاية . فطرح الحكايات السابقة للفرقاء الانجليز بصورة أوسع , وبعد تبادل الكثير من الأسئلة والأجوبة , قال سمو الأمير : لا أستطيع تكتم الأمر , فأنا لست مطمئنا ومستريحا لهذا الأمر , فقد أردت أن ألحقه برفاقه[1] ؛ (ص 48) ولكن لما كانت هذه هى ارادة الدولة العلية , وأنتم جئتم لهذا فقد منحته لكم , وأصبح وديعتكم (فى عهدتكم) , فاحملوه معكم حين عودتكم , ولكن نحن أيضا كنا قد وجهنا شخصا إلى دولة الانجليز , وسوف نسلم مبعوثنا إليكم أيضا .

([1]) يشير هنا إلى مسألة قتل استودارت وكونولى .

وأنهى حديثه عند هذه النقطة . ولم أكن قد التقيت بسمو الأمير خلال هذه الفترة , وقد كانوا يرتدون ملابس فاخرة فى ذلك اليوم , وكانت عبارة عن جبة قطيفة ثقيلة جداً. وبعد خروج العبد لله , وقبل وصولى إلى بوابة الديوان , ركض عدة أشخاص سريين حتى لحقوا بى , وأتوا بجبة قطيفة من نفس النوع مع ثمان أقماع من السكر الروسى (وقالوا) أرسل الأمير هذا لكم . لذا فقد اتضح أن هذه الخلعة كانت السبب فى ارتداء العبد لله تلك الجبة . وبعد ارتدائها , تم استدعاء العبد لله مرة أخرى , وجعلونى أمكث فترة , وأعربوا لى عن تقديرهم كثيرا . جئنا إلى المنزل , ولم يحدث أن التقينا لمدة يومين آخرين .

وكتبت عريضة بتفاصيل هذه الأمور وتفاصيل اطلاق صراح صاحب الفخامة يوسف ولف , وأعطيت أربعة وعشرين طلا إلى التركمانى وأرسلته بهم , فأوصلهم إلى أرض اقدس (مشهد) بعد خمسة أيام , وسلمهم إلى حاجى قاسم , أما هو فقد تم ارساله إلى دار الخلافة لكى يمثل أمام أولياء الدولة القاهرة .

وكان سفراء هرات و اورگنج وشهر سبز وخلم قد جاءوا فى هذه الآونة , وانصرفوا جميعا , وبعد رحيلهم جميعاً , التقينا ثلاث مرات أخرى . و كلما التقينا كان يتم اختلاق الأسباب لتحرير الأسرى , و ايقاف بيعهم وشرائهم , وكان سمو الأمير يناقش هذا الأمر مع مستشاريه , دون الوصول إلى رأى حاسم فيه , ويمضون الوقت فى ليت ولعل . وكانوا يذكرون موضوع الأصدقاء الانجليز بين الحين والآخر فيما بينهم .

وذات يوم قال : أتعلم لماذا جاء السفير يار محمد خان حاكم هرات ؟ فقلت لا أعلم , ولكنهم تحدثوا عن الحكم أو القرار المشهور , وهو أن يار محمد خان كان قد كتب إلى سمو الأمير أن يقتلوا يوسف ولف . فقال : بلى لقد كان الرسول قد جاء من أجل هذه المهمة . ولكن موضوع الأسرى استغرق منى فترة فى البداية , وقد بذلت فيه قصارى جهدى دون فائدة , إلى درجة أننى خفت أن ينتهى الأمر بتأجيج الخصومة والعداوة .

(ص 49) ففكرت فى الأمر لمدة يومين , وطلبت أن أكون فى ضيافة شقاول (رئيس الديوان) , وحملته رسالة إلى سمو الأمير حين يذهب لخدمته فقلت فى حضرة سمو الأمير إن الواجب وصفاء العقيدة والسريرة هما المحرك الأساسى , وقد عرضت هذه المراتب ولكن فى مكان خالى لا يوجد به أحد .

وفى الصباح , قام شقاول (رئيس الديوان) برفع الأمر إليه . وبعد يومين تم استدعاء العبد لله إلى مكان على إنفراد , وبعد دخولى وتبادل المجاملات , قلت إننى على كل حال فى مركز هام , لأننى أخدم فى

الدولة العلية وأحمل نعمها , وقد توجهت إلى بعض الذين استطاعوا المثول أمام سمو الأمير , وتنبهت أنه لا يليق أن أرى نقصا ولا أتحدث عنه .

ولأننى أنا السفير والمبعوث الخاص من قبل الدولة القاهرة لهذه المنطقة لم يأت احد , وسبب إرسال العبد لله هو أن سمو الأمير كان له السبق فى مد جسور الصداقة والسعى إلى التحالف مع الدولة العلية , حين أوفد سيد خليل , وطبقا لمفاهيم الآية الكريمة ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها ﴾ [1] , تم ايفاد العبد لله . فأولا : يلزم أن نبذل قصارى جهدنا لأن تؤتى نبتة التحالف والتفاهم ثمارها . وثانيا : العمل على مراقبة كيان الدولة والحرص على دوام ملكها وعقيدتها . فإن سمو الأمير عندما كان مع دوست محمد خان الذى كان يحكم فى كابل , وكان رجلا لا يملك مهارة تحسين السبل و العلاقات , حيث كان دائم النزاع والجدال مع ملك ارگنج , ودائم الجدال والقتال مع حاكم خوقند أيضا , كما كان على خلاف مع شهر سبز وما فى نطاقها , ولم يكن يحظى بحب الاخرين .

فقد كان لكل منهم ولاية تليق به دون أن تكون له دولة مستقلة , وكانوا جميعا على خلاف .

فإن الدول الكبرى لم تكن على علاقة بالدولة الروسية العلية قطعيا , وقد سلكوا نفس الأسلوب مع الدولة الانجليزية البهية . وكان الأمر يقتصر على الدولة الايرانية العلية , لأن هؤلاء الأشخاص كانوا يكنون لبلاط سلطتنا الطاعة والإخلاص . فكانوا حلفاء لسائر الدول (ص 50) باسلوب دبلوماسى وصحيح , وليس لديهم خلاف مع أحد . فتوفرت لهم المعدات والآلات الحربية من قبيل المدفع والبندقية ومخازن السلاح , وغيرها بصورة كبيرة على نحو يجعل أى مملكة تعجز عن مقاومتنا لمدة ساعة . مما أدى بتركمان آخال وسرخس ورؤساء مرو وساروق وسالور يفكرون بصورة واضحة جلية , فتقدموا بفروض الطاعة والولاء , وأصبح لا يصدر حكم من بلاط الدنيا إلا والجميع يطيعه .

وهكذا فإنه ينبغى أن تتعاملوا بإخلاص مع الدولة التى ارتبطت معكم الآن بعلاقات صداقة وود , فإن العبد لله دائما يميل إلى ما فيه صالحكم وفوزكم . أما الآن فسوف أفصح عن مطلبى الذى أرنو إليه , وهو يعتبر مطلبا جزئيا , أبين منه هدف أولياء دولتنا الذى يهدف إلى تعزيز الاسلام ورفعة الدين الحنيف . واسمحوا لى أن أعلن بكل إباء وشموخ أنه ليس مقصود أولياء الدولة العلية من كل هذه المساعى والتحركات ترتيب أمور ترسانات الأسلحة , بل تحقيق الغلبة على الكفر , وليس لها منظور آخر غير هذا

([1]) سورة النساء آية رقم (86) .

. فإذا كان السواد الأعظم من ولاية سمو الأمير مسلمين ومذهبهم وعقيدتهم الدينية واحدة , وإذا كان البيع والشراء فى أصول العقيدة واحدة , فلا خلاف على أن هذا سوف يضعف الاسلام ويقوى الكفر .

وأنا أرى أنه لمن دواعى مصلحة الأمير ونصرته , أن يصدر أمرا بإيقاف مسألة إطلاق العنان فى البيع والشراء , ثم بعد هذا يعترف الدانى و القاصى والمطيع والعاصى ببشاعة هذا العمل , حتى تبرز قوة الاسلام وتزدهر أموره .

وقمت بتفصيل هذه الأمور وألقيت الضوء على الوضع الحالى , وبعد أن سمع سمو الأمير هذه المقالة وأنصت إلى الأفكار والمبادئ التى وردت فى المقدمات , أمر بوجوب التفكر ولزوم التدبر فى هذا الشأن , وأمهلهم يومين حتى يدلوا بإجابة صائبة فى هذا الشأن .

وبعد يومين تم استدعاء العبد لله مرة اخرى وقال : لقد علمت بعد الكثير من التدقيق والتأمل أن ذلك الذى كنت قد قلته وعرضته كان نابعا من صداقة وود وإرادة قوية .

لقد كنت مضطرا لمساندة الدولة الايرانية العلية , ولكن هذا الأمر يتطلب وقتا لكى يفضى إلى (ص51) الإعداد والتمهيد لجلاء صدأ هذه الأوهام عن مرآة قلوب العوام , وجموع المسلمين الذين بذلوا أموالهم النقدية فى شراء الأسرى , فلا يمكن أن نقول لهم ردوا ما بين أيديكم من أسرى وتجاوزوا عن أموالكم . ولسوف نكتب فى عجالة أمرا إلى جميع الولايات التابعة لنا والتى تعتنق الاسلام , بأن كفوا عن بيع وشراء أهل الاسلام بعد هذا , وأن لا تشتروا ولا تبيعوا كل ذى نفس من أهالى ايران والممالك المرتبطة بولاياتنا . حتى ينتشر هذا الخبر فى كافة الأطراف والأرجاء , وسوف نحاول قدر الإمكان أن نبذل كل ما يمكن بذله فى سبيل إطلاق عنان مجموع الموجودين فى بخارا من أهل ايران , والذى يبلغ عددهم حوالى ثلاثمائة أو أربعمائة شخص وسوف نرسلهم إليكم , وقد اشتريت بنفسى حوالى ألف غلام بثلاثين ألف طلا . ومن كان منهم جندى فى الوقت الراهن فلن أضن عليه بأن يرافقكم .

ولأنه كان يقول هذه الحكاية بإكراه شديد للضابط , فقد علمت أننى لو امتثلت إلى حمل هؤلاء فإنه لن يمكننى من حملهم , فقلت : عند مجئ العبد لله إلى هذه البقعة , أصدر أولياء الدولة العلية مرسوما ملكيا بأن أخبر صاحب الجلالة آصف الدولة بضرورة تسيير الضابط والمدفعية ومخزن الذخيرة إلى سمو الأمير , دون مضايقة أو مماطلة أو اهمال .

وقد هيأت لى مراسيم ملك الملوك , ملجأ الاسلام روحنا فداه , كيفية تحفيز سمو الأمير على أن يخصص ضابطا لمرافقة العبد لله , دون إلزامى بالرجوع إلى الضابط وغلمان سمو الأمير . فسوف يهتمون

بأسرى المملكة وغلمان الولاية بقدر الإمكان , و هذا هو عين التحالف وتوحيد النوايا مع الدولة العلية , وقد لاقى هذا الأمر استحسانا كبيرا . واستقر رأيهم على أن يتم تلبية رغبة كل شخص يميل إلى المجئ بقدر الإمكان , وأن عدم تلبية رغبته فى مرافقتكم يعد نوعا من أنواع الظلم والجور , ولا يستطيع شخص أن يحول دون ذلك الأمر .

ومنذ أن شاع هذا الخبر وانتشر , والعبد لله يقصده كتل من البشر , وتردد على العبد لله خلال هذه المدة أيضا عدد من المسلمين , كانوا قد اشتروا من الأسرى حوالى مائة وخمسين نفرا , وكان بعضهم قد أنفق عليهم نصف أو ثلث رأسمالهم النقدى , فقام العبد لله بالاقتراض من التجار , وتسديد (الأموال) لهم , وقد كنت قد اشتريتهم أثناء غياب الأمير فى خجند (ص52) وسمرقند , مع الستة والعشرين أسيرا الذين كانوا فى حوزة خمسة أشخاص من السادات , بفضل وجود المبارك قبلة العالم روحنا فداه , وكنت قد أطلقت صراحهم , ومهدت الطريق لهم , ولم يتبق أيضا ممن جمعوهم من الأطراف الداخلية لمدينة بخارا , والذى كان قد بلغ عددهم حوالى ألف أسير إلا قليلا .

وعندما صدر هذا القرار الذى يقضى بالسماح لكل شخص من الأسرى بعبور نهر آمويه [1] , أعطوا لكل شخص خمسة طلا وسمحوا له بعبور النهر , وكان هناك شخص أو شخصان ظلا لمدة عام ليس لديهما الرغبة فى عبور النهر . ولهذا قلت لسمو الأمير أن يصاحبهما شخص من أتباعه ليعبروا النهر دون أن يتعرض لهما أحد . وقد تسلمنا أمر تكليف من سمو الأمير عبر شخص من أقاربكم يدعى عاشور بيگ , و قد رافقنا من بخارا لإتمام عملية عبور الأسرى نهر آمويه , دون أى إزعاج من أحد . وكان أى شخص قادر وغنى يدفع تكاليف تنقلاته لنفسه , وكل شخص يعجز عن هذا , كان العبد لله يدفع له تكاليف تنقلاته , أما الأشخاص الذين يعولون زوجة وأولاد , فإنى أقوم بتوفير صندوق لأمتعتهم , وأهيئ لهم الماء وما يحتاجونه من نفقات حتى أطمئن تماما على عبورهم النهر . وقد أحضروا خلعة وصلات من قبل سمو الأمير , سوف أذكرها بالتفصيل فى تقرير على حده . وبعد أن وصل خدم سمو الأمير بالخلع والصلات , سمحوا لنا فى النهاية أن يتم تعيين مُضيف لمرافقتنا حتى چهار جوى , و توجه صاحب السعادة سبحانقلى بيگ أمير الأعلاف بالهدايا والتحف للدولة العلية , أما ملا أبو القاسم

(1) نهر آمويه : هو نهر آمودريا أى نهر جيحون , وكان كثير من الجغرافيين يطلقون عليه اسم نهر آمويه لمروره ببلدة آمويه . (المترجم) .

الذى كان يعمل فى خدمة الأمير , فقد توجه إلى الدولة الانجليزية , وقد أرسلوه هو وصاحب الفخامة القس يوسف ولف إلى العبد لله , وخرجنا جميعا من بخارا .

تفاصيل تحرك العبد لله من بخارا وعودته إلى دار الخلافة

انتقلنا يوم السبت السابع عشر من شهر يور الموافق شهر رجب المرجب من بخارا إلى جرق (ص 53) « جرغ » التى كانت تبعد حوالى نصف فرسخ , وقد أصدر سمو الأمير أمرا , بأن سيروا رويدا رويدا حتى ينتهى سبحانقلى بيگ أمير الأعلاف من أعماله ويلحق بكم .

وبعد يوم من رحيلنا عن بخارا , ذهبنا إلى مدينة الاسلام التى تبعد عن بخارا مسيرة فرسخين , ثم ذهبنا من هناك إلى بيكند التى تبعد عن بخارا أربعة فراسخ , ثم انتقلنا من هناك إلى قره كول التى تبعد عن بخارا سبعة فراسخ , وكنا ننتظر صاحب السعادة سبحانقلى بيگ فى كل مكان . وقد توقفنا لمدة يوم هناك , حيث قام سمو الأمير بإقطاع صاحب الفخامة عبد الصمد خان أموال قرا قول , عوضا عن راتبه الشهرى أو السنوى كضابط .

وبعد خروجنا من بخارا , قام العبد لله بتسليم المرافقين له وجبتى العشاء والغذاء ، وسلمت الأسرى الفقراء ما يكفيهم حتى أرض اقدس « مشهد » مجانا , فقد كان طباخ العبد لله يملأ كل مساء خمسة أو ستة قِدور كبيرة , لطهى الشوربة لهم , وكنت أتحمل كل ما يحتاجه من لا يملكون نفقة أو حذاء أو أجره . فكان كل واحد يأخذ نفقته من العبد لله على دفعتين أو ثلاثة دفعات , وقد استغرقت المسافة من قرا كول حتى نهر آمويه ثلاثة أيام .

ونزلنا لمدة يوم فى قلعة فرب « فربر » وهى من توابع چهار جوى , حتى لحق بنا سبحانقلى بيگ أمير الأعلاف .

وأمضينا اليوم التالى فى عبور أوائل الأسرى من النهر , ولما كان معنا الخيام , فقد أرسلوهم بها , مع العمال الذين سوف يقيمون الخيام على الجانب المقابل من النهر , على أن يبقوا هناك , وأن يعطوهم نفقاتهم أيضا . فعبروا النهر فى الغد وجاءوا إلى چهار جوى , وتوقفوا لمدة أربعة أيام هناك , بسبب عبور بعض أهل القافلة , النهر , وعدم عبور البعض الآخر بسبب تعطل عبور الامدادات . وقد نزلنا خارج القلعة فى چهار باغ .

وقد زارنا الحاكم هناك ثلاث أو أربع مرات , وفى اليوم الخامس أهديت عاشور بيگ مضيِّفنا , دستة من الشيلان الفاخرة , وأعدت له الثلاثين طلا , وكتبت عريضة إلى سمو الأمير , بأن عاشور بيگ استقبل

استقبالا حافلا . ولما كانت المسافة بين چهار جوى و مرو قاحلة تماما , وكان طريقها وماؤها على هذا النحو , فقد قال حين الذهاب (ص54) لقد كنا مضطرين لأن نقول لحاكم چهار جوى , إنه بما إن عدد أفراد القافلة والأسرى والزوار والمترددين والحجاج كثير , والطريق قاحلة , فينبغى عليكم أن ترسلوا مائة ركوبة , ومائة مجرفة ومعول , لتطهروا الآبار , وتجددوا وتعمروا الآبار التى كانت قد خربت , حتى نكفى الرعية شر المشقة ونوفر لهم الرفاهية .

وقد رفض أن يتعهد بذلك فى البداية , ثم قبل فى النهاية , بسبب إصرار العبد لله , وأرسل الناس . فأعد العبد لله الماء والمؤن والتموين اللازم للطريق , وبعد يومين من رحيل موظفى الحاكم , تحركنا قبل الغروب بساعة .

سرنا ليلا دون توقف , فوصلنا فى اليوم التالى إلى رفتك[1] عند الظهر , وكان الأشخاص الذين أرسلناهم قد عمروا ذلك المنزل , وعادوا برغبتهم من طريق آخر , وذهبوا إلى چهار جوى .

وتوقفنا لمدة يوم من أجل تزويد المراكب بالمياه , وسقاية المواشى , وفى اليوم التالى عند حمل أغراضنا , جاء عشرون راكب من قِبَل حاكم چهار جوى , بخطاب تكليف من سمو الأمير , بأنه ينبغى أن يسدد الغلمان حوالى مائة وخمسون طلا , أى ما يوازى مائتى تومان كضرائب للغلمان .

وتفصيل ذلك , إنه كان قد أشار على سمو الأمير أخذ رسوم عن عبور نهر آمويه , وقد كنت قد سددت عن كل غلام خمس طلا كرسوم عبور النهر . وقد كان ينبغى هذه المرة عبور ألف غلام من المحررين النهر , فجمعت خمسة آلاف طلا منهم , ولما كان الأمر قد صدر بألا آخذ منهم شيئا , لم أتطفل , وبدأ يجبر الأمر كثيرا , فكان لا مفر من أن يقرر سمو الأمير شيئا خاصا لى آخذه منهم . وكتب سمو الأمير ورقة بأن الغلمان المغادرين , لابد أن يدفعوا جميعا مائة وخمسين طلا . فجاء شخص من قبل أحمد بيگ حاكم چهار جوى عند العبد لله وقال هذه هى رسالة التكليف بأوامر حضرته , فلو سلمتم الأموال فبها ونعم , وإلا سوف آخذها أنا الآن من الأسرى . فقلت ينبغى على العبد لله أن يحسن

([1]) هذه الكلمة وضع محقق الكتاب عليها علامة استفهام , وقد ذكرتها بنصها , وكانت أحد المنازل التى نزلوا بها كما ورد بالنص الفارسى , ولكن فيما يبدو أن المحقق لم يستدل لها على أثر فى هذا المكان . (المترجم)

التدبير والتعبير . نعم إن كل ما كتبه الأمير على عينى ولن يغضبنى , ولكنى سأكتب عريضة إلى سمو الأمير و أطلب رأيه , فإذا وصل رده بأن لا تأخذوا فبها ونعم , وإلا فليأخذوا الأموال منى .

وقد أرضاهم هذا الحل على كافة السبل . فأعطيت لشخص تركمانى عشرة تومانات وأرسلته إلى (ص 55) الأمير . وبعد أن بلغ مسامعنا أن سمو الأمير كان قد ذهب إلى قرشى التى تبعد عن بخارا ثلاثين فرسخا , كتبت عريضة كان مضمونها : لقد أمرتم بتخفيف رسوم الغلمان المحررين من قبيل الشفقة والرحمة , والآن وصل من جديد أمر تكليف من قِبل سمو الأمير بشأن المائة والخمسين طلا المقررة على الغلمان , فأولا : إذا أخذوا هذه الأموال من الأسرى , فإنى أنا العبد لله لن أكون راضيا عن تسديدهم هذه الأموال , لأنهم فقراء , وإذا أخذوها من العبد لله فسمعا وطاعة . ونحن الآن فى الصحراء ولن يتأتى تدبير الأموال فى هذا المكان , وسوف أسلمها فى مرو لخدم سمو الأمير .

أرسلت المكتوب بصحبة الشخص التركمانى أما رجال حاكم چهار جوى فقد أخذتهم معى , وكنا قد أعطينا فى رافتك[1] عشرة أو عشرين نفرا تركمانيا أجرًا , وأرسلناهم لتطهير الآبار التى على الطرق , ولحفر بئر جديد أيضا , حتى لا نعانى عند دخول المنطقة من قلة المياه , كما قمنا أيضا بتعيين عشرين نفر تركمانى للحراسة , تحسبا لأن يقوم عدد من تركمان اورگنج أو بقية التركمان باختطاف أحد من الأسرى أثناء النوم أو اليقظة . لأنه كثيرا ما ترتكب مثل هذه الأمور هناك , وقد أعطيت لهؤلاء خلعة بالإضافة إلى ما يوازى خمس عشرة تومان .

وسرنا من منزل إلى منزل لمدة أربعة أو خمسة أيام , حتى دخلنا مرو القديمة . وكان فى استقبالنا على بعد فرسخين من مرو القديمة عدة أشخاص من أعيان التركمان , ومن هؤلاء الأعيان مراد بيگ و قراول بيگى . وبعد انتهاء اجراءات الاستقبال قال : أنا لست صديقا لأنكم قد احتجزتم أسرانا فى مشهد , ونحن أيضا ينبغى علينا أن نتحفظ عليكم هنا , ولن نترككم تعبرون إلا بعد أن يرد حضرة آصف الدولة لنا أسرانا .

فأجبت : لا يقبل العقل أن تكونوا هكذا فإنكم إن استطعتم أن تحتجزونى أنا من يفتدى ملك الاسلام بروحه ويعيش فى كنفه , فإنكم سوف تغسلون أيديكم فى هذه الحالة من أرواحكم وأموالكم وعيالكم .

([1]) لم ينسى المحقق هنا أيضا أن يضع بجوار رفتك نفس علامة الاستفهام . (المترجم)

قلت فى هذه المقدمة الكثير , فرأيتهم بعد فترة يشعرون بالعجز ويصرحون إنا غلمان ملكنا ونحن نفتديه بأرواحنا , وقدكان مطلبنا من جناب آصف الدولة هو أن يعيد إلينا أسرانا , فأعرب عن عجزه .

(ص 56) قلت بلى هذا هو القرار , أنتم حملتم ثمانية عشرة أسيرا إلى أرض أقدس , فلتحضروهم , وليأت عدد من سادتكم إلى جناب آصف الدولة , وسوف أطلب منهم هناك أن يرحموا أسراكم .

فاستقر الأمر على هذا , ودخلنا مرو القديمة . ونزلنا فى خارج القلعة , وتوقفنا ليلة هناك , فجاء ابن خليفة[1] مع أعيان مرو لاستقبالنا , ودخلنا مرو الجديدة . فنزلت أنا ومرافقى والأسرى ضيوفا فى منزل خليفة , ونزل الأهالى بمنزل اوراق خواجه بالقلعة الجديدة التى كان نياز محمد باى قد بناها , والمسافة من منزل خليفة حتى هناك نصف فرسخ . وقد جاء خليفة مع جمع من أعيان التركمان من التكه والساروق والسالور لزيارة العبد لله , وأبدوا مظاهر الطاعة والتضحية بالنفس فى سبيل أولياء الدولة القاهرة .

فأحضروا لهم الشاى والحلويات والغداء , وبعد انتهاء هذه المراسم فى مرو الجديدة , كتبوا تفاصيل تحرير الغرباء و اطلاق صراح الأسرى فى عريضة , وأعطوا اثنا عشر طلا للتركمانى الذى أرسلوه إلى أرض أقدس , لكى يوصل العرائض إلى دار الخلافة ومن ثم لأولياء الدولة القاهرة عن طريق حاجى قاسم التاجر الطهرانى .

وبعد يومين جاء أعيان ساروق وسالور حيث كان ينبغى أن يسلموا رسوم تحرير الغلمان , وقد تقرر أن يكون المبلغ أربعة طلا عن الفرد الواحد , وعندئذ يكون المبلغ كله أربعة آلاف طلا . فسَّرَت همهمة بين الأسرى , ولم يلبثوا أن تفرقوا . فاستملت البعض وطمأنت البعض الآخر , ثم أرسلت شخصا إلى اوراق خواجه الحاكم لأستفسر منه عن معنى هذا , حيث كان سمو الأمير قد قرر , أنه لن يدفع أى واحد من الأسرى دينارا لأحد , ولن يضايقهم أحد .

فأجاب الحاكم بأنهم لن ينصتوا إلى حديثى , وأنه مهما بذل رجالى قصارى جهدهم حتى يجعلوهم يتخلوا عن أعمالهم الهزلية , فإنهم لن يقبلوا النصيحة .

والخلاصة أننا تحدثنا مع خليفة وأُراض خان ملك تكه وبعض الأعيان فى هذا الشأن , وقد بذل خليفة مع أُراض خان جهدا كبيرا حتى لا يقرب الناس هذه الفعال , ولكن الغوغاء والأوباش لم يقبلوا , وقد سعى خليفة بكل ما لديه من قوة ولم يفلح . (ص57) فقالوا فى آخر الأمر لو تحدث خليفة بعد هذا فى

([1]) يقصد حاجى خليفة المروى . (المترجم) .

هذا الشأن , سوف نثقب سقف منزله ونقبض عليه , ونغير على اوراق الخواجه وأتباع بخارا , ونسلب أموالهم , و نسلم أهالى بخارا عل سبيل المصالحة إلى ملك اورگنج .

وماطل خليفة , أما أهالى بخارا فقد استولى عليهم الرعب كلية , وكانوا يتجمعون كل ليلة فى مكان , وقد اتفقوا على أن نبيع الأسرى .

وفى هذه الأثناء , التمس بعض أصدقاء ومعارف العبد لله , أن أوافق على أن يدفعوا رسوم عبور الغلمان , فلم أقبل من الأساس , وبقينا فى نفس الصراع لمدة ثمانية أيام فى مرو . وفى اليوم التاسع , أحضر الشخص التركمانى الذى أرسلناه إلى بخارا , لدى سمو الأمير , وقد كان ذهابه وإيابه قد استغرق خمسة عشرة يوما , رسالة تكليف من الأمير إلى العبد لله , وكان مفادها , أن لا يتعرض كل من آق سقالان التركمانى و اوراق خواجه وخليفة , ولا أى أحد من التركمانية للأسرى وألا يأخذوا دينار واحد .

وفى يوم السبت الموافق السابع عشر من شهر شعبان , وبعد أن قرأ التركمان ورقة الأمير صمتوا وانصرفوا , وجاء خليفة مع أحد أبنائه , وخمسين فارسا راكبا حتى يودعوا العبد لله إلى المنزل التالى , أما اوراق خواجه الحاكم هناك فقد ودعنى حتى نصف فرسخ .

قمت بإهداء خليفة , مجموعة من الشيلان الجميلة , وخمسة عبوات من الشاى وخمسة أقماع من السكر الروسى , وأهديت ابنه منظارا جيدا , وجُبة وقبضة رمح فضية مع رأس رمح من الجوهر , عاد خليفة من عند المنزل الثانى , أما ابنه فقد رافقنا حتى سرخس .

وبسبب ندرة المياه وعدم توافرها إلا من خلال بئر واحد مياهه مالحة , أخذنا نعمل على تدفق الأموال لمدة ليلتين ويوم دون انقطاع حتى وصلنا إلى سرخس . وقد عمل المسئول عن تصريف الأمور فى تلك الساعة , على عبور القافلة وحملها إلى بخارا ثم عاد , فاستضاف جماعتنا لمدة ليلة ويوم . وأهديته عند رحيله خمس تومانات , وجُبة وقميص وسكين مرصعة بالجواهر , ومقبض سيف .

(ص 58) وفى هذه الأثناء , أرسل سبحانقلى بيگ أمير الأعلاف شخصا عند العبد لله , بأننا لدينا كمبيالة بمائة وخمسين طلا من قبل سمو الأمير . فأحال سمو الأمير إلينا الكمبيالة التى تخص رسوم عبور نهر آمويه , فقد وصلت إلينا من باب تحصيل رسوم عبور الغلمان المحررين , والآن نحن نريد أن تعطونا حقنا مما حصلتم عليه من الأسرى . فأجاب العبد لله بأننا لم نطلع على هذه الكمبيالة , ولا نعلم مدى صدقها من كذبها , وهل هى بقيمة , ما كان سمو الأمير قد منحه لنا , ونحن نسمع هذا الآن , وقد تردد شخص علينا ثلاث مرات ثم ذهب , وقد رأيت أنه لا يقبل النصيحة مطلقا , وإنه جاء فى النهاية إلى

خيمة العبد لله , وأصر على ترديد : أن الحق لن يصل إلينا عن هؤلاء الغلمان على هذا النحو , وأننا لن نأتى إلى الدولة العلية , وسوف نعود من هناك إلى بخارا , ونقول للتركمان إننا قد استعدنا الغلمان .

توقفت يوما , وقد سعيت قدر طاقتى وقدمت له النصيحة بأن هؤلاء الغلمان فقراء وأننى أنا الذى أتكفل بنفقاتهم وأكلهم وشربهم وأجرتهم , وهذه الفقرة التى تقولها ليس معلوم صدقها ولا تُقبل أصلا . وسوف تفسد الأمور , وموضوع التركمان ليس له أى اعتبار أيضا , والغلمان البؤساء لا يملكون شيئا , وسبحانقلى بيگ جاهل وأحمق ولا يقبل النصيحة , ولديه اصرار على عدم المجئ . ولا حيلة فى أمر تسليمه سند مكتوب بقيمة ألف وخمسمائة طلا , أى ما يوازى مائتى تومان , وسوف أعطيه لكم بعد دخولى دار الخلافة , فلا داعى للشغب والتمرد والصد عن العودة , ولا يزال المشار إليه يتشبث بالسند الذى لديه . فقد سلمته سند مختوم , فاطمئن وسكت عن الشغب والفتنة .

وسرنا من هناك إلى شورلق ثم جئنا من هناك إلى مزدوران , فأرسلنا شخصا إلى خدمة سمو الأمير حسين خان أمير الأمراء العظام فى مدينة مشهد المقدسة , بأن رسولا بخارا قد أتيا , وقد عينت لهما عددا من الخدم ومبلغا من المال , وعينت لهما منزلا ونفقة , ووفرت لهما عددا من الفرسان الراكبين , لحراستهم إلى أن يدخلوا أرض أقدس , حتى لا نتركهم , وينفرط عقد الأسرى ويذهبون إلى مكان آخر .

(ص 59) وكان فى مزدوران حاجى ملا حسن طهرانى وحاجى قاسم مع جمع من التجار الترك والتاجيك وقد جاءوا بحوالى عشرين حملا من الحلوى , والحلويات والفواكه مع جمع من أهل الأسرى إلى مزدوران , فقسموا الحلويات والفواكه وأوصلوها إلى الأسرى .

تحركنا من مزدوران إلى چهارگنبد , ومن هناك إلى أرض أقدس , فخرج جميع العلماء والفضلاء والحرفيين والتجار والزوار والأصدقاء والغرباء لاستقبالنا , فقد تم بحمد الله تعالى وبفضل نور حضرات عبيد أقدس ملك ملوك الاسلام وملجأه , روح العالمين فداه , تحرير ما يزيد عن ألف أسير , فلم يحدث أن عُقد اتفاق مثل ذلك من قِبَل عهد ما سلف من الملوك إلى الآن , وقد كانت هذه هبة عظمى خاصة بأيام ملك ملوك الاسلام وملجأه روحنا فداه .

ووصل ازدحام وتجمع الخاصة والعامة إلى الدرجة التى تعذر معها العبور والمرور , حتى صار الأب يفتش عن الابن , والابن يتحرى عن حالى الأب , والأخوات يسألون عن الاخوان , و الاخوان يستقصون عن أحوال الأخوات , والأمهات عن أبنائهن باحثات والأبناء يصحن على الأمهات , فأصمَّت الأصوات والطنين آذان الفلك الأطلسى , فقامت ثورة يوم القيامة , وكأن القيامة قد قامت .

فطرق المعابر مسدودة وأبواب المساجد والمنابر مفتوحة , و شفاه الخاصة والعامة تتمتم بالشكر والثناء لله الرحيم , وبالدعاء لدولة الفلك العظيم , ومنحة القضاء والقدر , فخامة ملك الملوك , ملجأ الاسلام روح العالمين فداه , وقد تشرف السلطان بالوفودِ إلى تقبيل عتبات مرقد الامام على بن موسى الرضا عليه التحية والثناء , وظل الاتجاه الموالى للسير فى طريق المحبة والتواصل , يكرر الدعاء بدوام الدولة العلية . ثم افترقوا كل إلى منزله وولايته ,ونقلوا سفراء بخارا إلى منزلهم , وهو المنزل الذى عينه لهم التجار , وقد قرروا لهم ثمان تومانات يوميا كنفقة لهم . وكان العبد لله قد ذهب فور مجيئه من رحلته إلى خدمة أمير الأمراء العظام حسين خان , ومكثت فى منزله لمدة ساعتين , ثم جئت إلى منزلى .

وقد جاء جميع علماء الفقه وأئمة الجمعة وأعزة وأكابر الولاية , لزيارة العبد لله عدة مرات , وكتب جميع العلماء والفضلاء وأئمة الجمعة تفاصيل هذه المنح العظيمة والأحداث الجسام , وأرسلوها (ص 60) إلى جميع ولايات خراسان وسائر أنحاء الممالك الايرانية المحروسة .

توقفنا لمدة خمسة عشرة يوما من أجل راحة الدواب فى أرض أقدس «مشهد» . وقد أرسلت عند دخولى مذكرة توضيحية لإحاطة أولياء الدولة القاهرة , علما بأمر توجه الأسرى إلى دار الخلافة , وعرضت ذلك فى التقرير , كما أرسلت أيضا يوم مغادرتنا أرض أقدس رسولا آخر إلى بلاط الدنيا .

وفى يوم السبت , الرابع عشر من رمضان المبارك , تحركنا من مشهد , وضربت خيمة على بعد نصف فرسخ من قرية عسكرية , التى كان إمام الجمعة ينحدر أصله منها . وكان من يرافقوننا قد جاءوا جميعا , فضرب أصحاب الفخامة سبحانقلى بيگ أمير الأعلاف ويوسف ولف القس المسيحى , والسيد مير أبو القاسم , خيامهم بالقرب من خيمتى . وكان قد بقى ساعتان على الغروب , جاء الغلمان والفضلاء والتجار للزيارة , فأرسل جناب آصف الدولة المقرب إلى الخاقان حسين , مكتوبا ودستة من الشيلان الجميلة الباهرة , مع أربعة أقماع سكر , بالإضافة إلى أربع زجاجات عصير ليمون لصاحب المقام العالى يوسف ولف القس المسيحى , وأرسلوهم أيضا . ولما كانت أحوال المشار إليه ليست على ما يرام , ولم يكن لديه عدد من جياد الركوب , فأرسل العبد لله شخص عند السيد الجليل حسين خان , وأخذت هودجا للمشار إليه , وقمت بتأجير بغل من المكار (مؤجر الدواب) , وتحركنا ليلة الخامس عشر قبل الغروب بثلاث ساعات من عسكرية , متجهين إلى شريف آباد , ثم انتقلنا من هناك , من منزل إلى منزل حتى دخلنا نيشابور .

نزلنا فى استراحة المسافرين الخاصة بدرب دروازه , حيث كان السادة المرافقين لديهم رغبة لأن نبقى يوم آخر بسبب ما ألم بهم من تعب ومشقة .

وفى نفس يوم المجئ , جاء جناب ملا أحمد القاضى لزيارة العبد لله , وعند المساء حدد موعد معنا لإقامة مأدبة , وقد أثنوا على الجميع بسبب هذه المأدبة , وبعد تناول الطعام , عقدوا جلسة لإلقاء الأدعية للدولة العلية .

وفى اليوم التالى توقفنا أيضا تنفيذا لرغبة السادة , ثم تحركنا أول الليل من نيشابور , ثم من منزل إلى منزل حتى جئنا إلى سبزاور . وكان نائب السيد الجليل حسين خان هناك , حيث استعد بالمأدبة , ولم يقصر فى الاستقبال , وما إلى غير ذلك . فقد كان قد جاء لاستقبال السادة سفراء (ص 61) الولايات تعزيزا وتكريما , وكان عالى المقام السيد محمد تقى بيگ المبعوث من قبل الدولة العلية , قد أحضر مطوية الأمر المبارك وحاشية جناب الأجل الأكرم دام مجده , بخصوص إعزاز واحترام السادة المرافقين , وقد أمروا بإبداء الاهتمام والتكريم للعبد لله , وقد ألقت علىَّ تلك الزيارة بالكثير من الاعزاز والتشريف , كما قام السيد حاجى سيد اسماعيل مجتهد سبزوارى فى ذلك اليوم بزيارة العبد لله , وقد ابدوا رغبتهم الشديدة فى استضافتنا , ولكنى رفضت .

وتنفيذا لرغبة السادة (السفراء) توقفنا لمدة يوم واحد فى سبزاور , وكان قد مضى من الليل ثلاث ساعات , ثم توجهنا إلى قرية سودخر , وضربنا خيمة على حافة النهر والبساتين , وكان قد بقى على انبلاج الصبح ثلاث ساعات , ثم رحلنا عن سودخر إلى مزينان , ثم تحركنا من مزينان عند الشروق إلى عباس آباد , وكان المرحوم شريف خان قد بنى الغرف الموجودة فى القلعة تنفيذا لأوامر صاحب السعادة الأجل الأعظم دام مجده العالى , وكان طول الحائط فى ذلك الوقت ذراع واحد , ثم رفع محمد تقى خان قاجار الحائط امتثالا للأوامر ذراعين , فصار إجمالى ارتفاع الحائط ثلاثة أذرع , وكان هناك برجين كبيرين كان المرحوم شريف خان قد بناهما هناك , ورأيت قناة تحيط بالحجرات , يجرى فيها كمية من الماء , ولكنه قليل جدا لا يسمح بالزراعة .

لكن المرحوم شريف خان مدَّ قناة من نهر اسفرايين وخرم آباد , وكان المرحوم المذكور قد اشتراها فى العام الماضى للاستفادة منها فى الزراعة , وكان يزرع فيها غلات كثيرة تبلغ خمسة عشرة خروار[1] ويعمل

([1]) الخروار : هو وحدة وزن قديمة تساوى 300 كيلو جرام , أو ما يوازى حمل حمار , أو حمل بعير .

على إدارتها رجال السيد الجليل حسين خان فى الوقت الراهن , وقد تفقدنا الغرف بكل دقة , ثم دخلنا عباس آباد .

وكان يوجد على بعد فرسخ واحد من عباس آباد عدة عيون مشهورة باسم « چشمه گزى » وكان يقال لها من قبل بحيرة التركمان , وكانت مياهها صالحة جدًا . ولما حفرت القناة هناك وبنيت القلعة , أصبحت جميلة جدًا , وصارت الأرض خصبة وقوية , وتحسنت الزراعة . وقد رأى العبد لله ذلك بنفسه , فكان من الضرورى أن أذكره . نزلنا فى استراحة المسافرين فى عباس آباد , ثم تحركنا من هناك إلى وسط الصحراء , وضربنا خيمة خارج القلعة , أما سبحانقلى بيگ (ص 62) أمير الأعلاف فقد نزل فى القلعة , حيث كان يسكن هناك حوالى ستين أو سبعين شخصا .

رأيت المقاتلين المسلحين متأهبين بالبنادق فى وسط الصحراء . فقد كانت قد بنيت قلعة جديدة على بعد فرسخين من عباس آباد عند استراحة القوافل فى الهاك , بأمر من صاحب السعادة الأجل الأعظم دام مجده , وكان ارتفاعها حوالى أربعة أذرع , وعرضها ثلاثة أذرع , وهم يعملون بها , وقد بدأو فى تشييد حجرة لتكون خزان مياه للهاك وقد أتموا نصفها تقريبا , وكانوا مشغولين بالعمل .

أما قناة الهاك فقد كانوا لايزالون يعملون بها , وكانت لازالت حديثة البناء , وتقدر البذور التى سوف يتم زراعتها بحوالى ستمائة كيلو جرام , ثم تحركنا من وسط الصحراء راكبين , عند الشروق إلى ميامى . وقد رأيت هناك القلعة الجميلة التى بنيت , بأمر من جناب السيد سلمه الله تعالى , فى درزيدر , التى تبعد عن ميامى فرسخين , وكانت مسلحة بقاذفة , ويسكنها عدد من حاملى المدافع , بالإضافة إلى حوالى ثلاثين مسلحا بالبنادق , وقد رأيتهم مستعدون هناك . ونزلنا فى استراحة ميامى , وقد لقىَّ حضرات السفراء كل إعزاز وتقدير . وجاء صاحب المنزلة الرفيعة محمد تقى خان رئيس طائفة العجم لزيارة العبد لله , وتم تقديم الفاكهة للضيوف وما شابه ذلك من مراسم واجبات الأنس والضيافة . وبعد أن مضى ثلاث ساعات من الليل توجهنا إلى شاهرود , ونزلنا فى شاهرود مع المصاحبين لنا فى خيمة ضربناها على شاطئ النهر . وقد توقفنا هناك لمدة يوم واحد تنفيذًا لرغبة السادة الحضور , فجاء أقارب الخاقان سليمان خان قاجار وصاحب المنزلة الرفيعة محمد تقى خان شامبيانى , مع عدد من العلماء والفضلاء للزيارة , ومكثوا مدة هناك . وقد دار نقاش بين السيد الجليل سليمان خان ومحمد تقى خان

غلامحسين صدرى افشار وآخرون – فرهنگ معاصر فارسى - ص 532 – تهران 1381 هـ . ش (المترجم)

بشأن الرواتب الشهرية الخاصة بالسفر , فاقترحت عليهم أنا العبد لله أن نشاركهم فى أدائها بشكل مرضى .

وبعد مغادرة السادة , جاء عدد من أهالى شاهرود وبسطام , وأعربوا عن رضاهم عن حاكمهم , وقد قدموا عريضة فى هذا الشأن . ثم تحركنا من شاهرود عند الشروق ونزلنا فى قرية ملا على مشارف طاحونه , فحضر أهالى قرية ملا لاستقبالنا , وقدموا الفاكهة وواجب الضيافة للسادة الضيوف .

ثم تحركنا من هناك , وضربنا خيمة خارج طريق مدينة دامغان , بالقرب من النهر واستراحة القوافل . وقدموا واجب الضيافة للسفراء , وجاء صاحب المنزلة الرفيعة فضعلى خان قاجار والمرحوم (ص 63) اسماعيل حاكم قلعة ررذى [1] مع السيد ميرزا رضاى مجتهد , وعدد من الملاوات والسادات لزيارة العبد لله .

وقد دخلنا إلى دامغان يوم حلول عيد الفطر . ولم تجِّد أحداث جديدة تستحق الذكر . فتحركنا من دامغان وضربنا خيمة فى دولت آباد على حافة بستان . وجاء صاحب المقام الرفيع حسينعلى خان إبن المرحوم مطلب خان مع عدد من إخوته لزيارتى , وقدموا الفاكهة مع واجب الضيافة .

وبعد أن مضى من الليل ثلاث ساعات , تحركنا من هناك ونزلنا باستراحة القوافل فى آهوان , وقد كان المرحوم شريف خان قد بدأ إنشاء قلعة وبستان هناك , تنفيذا لأوامر صاحب السعادة الأجل الأعظم , ولكنه لم يكن قد تم بعد , وقام بتعمير استراحة قوشه أيضا . فقد أصبح الماء جيد جدا وازدادت الرقعة الزراعية هناك . كان الجو باردً جدًا عند بزوغ الشمس , فتحركنا من آهوان , فأصيب السادة السفراء بتعب وألم ووجع شديد من أثر البرد القارس , وفقدوا القدرة على الكلام هم ومن معهم . ودخلنا مدينة سمنان عند الظهر , وكان نواب سيف الله ميرزا قد ذهبوا إلى شهمير زاد , فقام صاحب المنزلة الرفيعة زين العابدين خان بإجراء مراسم الاستقبال مع الأعيان والعمال بإعزاز وكرم شديدين .

وكتب نواب شاهزاده مكتوبا إلى صاحب المقام الرفيع زين العابدين خان مفاده : ينبغى أن تكرموا السادة الحضور , وأن تعطوهم كل ما يطلبونه من نفقات ومؤن . فأخذنا نفقة أربعة أيام , يوم من كبير آهوان , ويومين من إيرادات تجارة سمنان , وواحد أيضا من كبير لاسجرد .

([1]) وضع المحقق هنا علامة استفهام مما يدل على إن هذا المكان غير معلوم , أو ربما يكون قد وقع خطأ من الناسخ فى الكتابة , فصار المكان غير معلوم . (المترجم)

نزلنا فى منزل نواب سيف الله ميرزا , فجاء صاحب السعادة حاجى ميرزا عسكرى لزيارة العبد لله ,وأدوا حق الضيافة على أحسن ما يكون .

وكنت قد أرسلت رسولا بالتقرير اليومى من سمنان ووصل إلى دار الخلافة , فكتبت عريضة . وتحركنا من منزل إلى منزل حتى وصلنا إلى پلشت . ثم تحركنا من هناك ودخلنا حدود الخلافة , وكان محور الفلك ثمرة الأمراء العظام مرتضى خان , الأخ المقرب لخاقان كشيكچى فى استقبالنا مع عدد من الخدم والغلمان , وكان فى استقبالنا أيضا من قبل النواب الايلخانيين , صاحب المقام الرفيع هاديخان مع عدد من الفرسان المهاجرين (ص 64) وعمال ولاية صاحب المكانة الرفيعة محمود خان الشرطى مع عدد من أعيان دار الخلافة وعدد آخر احتياطى . ودخلنا المدينة على هذا النحو من الشوكة و الجلال , فقد كانوا قد خصصوا منزل المرحوم موسى خان للسادة السفراء (الأجانب) , فنزلنا .

بيان تفاصيل ديوان المالية ومصادر حشد قوات جيش بخارا

أما بالنسبة لتفاصيل ديوان مالية بخارا ومصادر تمويل جيش بخارا فهى على هذا النحو : أما الأموال الحكومية للدولة والأملاك والعقارات , فإن نصفها بالكامل هو عباره عن الأملاك التى تمتلكها الدولة أو الأسرة الحاكمة , أما النصف الآخر فهو حصيلة الأملاك والأموال التى تمتلكها الرعية . أما النصف الخاص بأملاك الدولة والأسرة الحاكمة , فإن نصفه يخص أملاك وأموال أعيان وسادة منطقة جوبار , و أولئك لا يدفعون دينارًا واحدًا كضرائب للديوان الحكومى , وتفصيل ذلك كالآتى :

أن الأمير شاهمراد بيگ كان قد نذر بسبب ما ألم به من مرض فى سالف الدهر , أن يؤول نصف موارد كل ما يقع فى نطاق دائرة المملكة إلى سادة منطقة جوبار .

وقد التزم جميع سلاطين بخارا بذلك النذر منذ ذلك التاريخ حتى الآن , ولم يخالفوه قط , ولن يقدموا على ذلك . أما أملاك أثرياء الرعية فإنهم يسددون عنها الضرائب إلى الملك بإجمالى مائة وخمسين ألف تومان عراقى , فقد استقرت قيمة عملتهم (طلا) على أن أصبح الدخل يساوى المنصرف , وبناء عليه أصبحت مواردهم لا تكفى مصروفاتهم , وصارت خزانة الملك لا يوجد فيها تومان واحد . حيث رآهم العبد لله يحملون الكتب بمختلف درجاتها و الشيلان والمصاحف إلى السوق ويبيعونها .

حتى إننى كنت أحمل لسمو الأمير بعضا من الاحتياجات التى كان زعيم الخلق أقدس ملك من الملوك , روحنا فداه , قد تعطف بها , فكانوا يبيعون السلع الضرورية التى كانوا يحملونها إلى الأسواق بأسعار أقل من قيمتها الحقيقية .فكانوا يستهلكون جميع السلع , وذلك فى مقابل توريد كل الرسوم الجمركية التى

تُحصَّل من التجار فى جميع الأماكن إليه. (ص 65) وقد سألت تاجر موثوق به عن تقديره لمجموع البضائع والأموال التى ينبغى تحصيلها خلال عام , سواء من جهة قلعة وروس أو من ناحية كابل و الختا و ايران , فكان المجموع مائة ألف تومان . وأنهم يسلمونها فى هذه الأوقات إلى من يتولى منصب القوش بيگى أى الوزير , وذلك لتسديد بعض النفقات من قبيل واجبات الضيافة أو نفقات السفراء , أو الإنفاق على استراحات الطرق , أو تسديد نفقات استراحات سعاة البريد أيضا وتسديد راتب من يتولى منصب الوزير .

هذا غير خلع وصلات هؤلاء , ولهذا فإن تلك الرسوم الجمركية تدخل فى حوزة دستور خانچى الذى يطلق عليها الوزارة , تكون كزكاة .

أما بالنسبة لمصادر تمويل حشد الجيش , فإنه حين يريد الملك أن يقوم بحملة عسكرية على جهة ما , فإنه بالطبع لن يجد فى الخزانة دينار واحد لينفق منها على الحملة , وحينئذ يتوجب عليهم أن يقترضوا من تجار المملكة ثم يردونه إليهم فيما بعد , فإذا كان التجار لديهم رغبة أعطوا وإذا لم يكن لديهم رغبة امتنعوا , ولم يكن هذا الأمر يشكل مصدرا للنزاع والجدال بالنسبة للملك . فقد أرادوا أن يذهب العبد لله بالسلع أو البضائع إلى أطراف خجند , فبخل عليهم التجار ولم يتمادوا معهم فى هذه القصة .

أما إذا ألم بالجيش حدث فى ناحية ما , أو حدث له طارئ ما , فإن الملك أو الأمير يأخذ حينئذ أموال نقدية من الرعية والتجار , وتلك الأموال يسمونها دود پولى وجُل پولى[1] ويتفق معهم أن يأخذوها لمدة عشر سنوات أو خمسة عشر سنة .

وأثناء وجود العبد لله هناك فى هذا العام , ذهب سمو الأمير إلى حدود خجند , وكتبوا من سمرقند مكتوبا إلى الوزير , بأن أعطه أموالا بموجب كمبيالة وخذها . فأحالها هو أيضا إلى مدينة بخارا وإلى تومانات بخارا , فجمع مائة ألف تومان خلال ثلاثة أيام متواصلة , ثم توجه إلى سمرقند . فقد كانوا قد عينوا على بخارا عند تقسيم الأموال تحصيل سبعة تومانات[2] .

([1]) جعل پولى و دود پولى و جُل پولى : مصطلح يعنى اقتراض الدولة من الناس حين الضرورة .

([2]) يبدو هنا أنه يقصد أنهم قد حددوا أن يدفع كل مواطن من أهل بخارا سبعة تومانات , مما ساعده أن يجمع مبلغ المائة ألف تومان من بخارا خلال ثلاثة أيام فقط . (المترجم)

وأخذ من يعملون فى خدمة الملك يتوافدون من كل صوب , فقد كان سفرهم لن يطول أكثر من أربعين يوما , وإذا كان الملك يرغب فى البقاء أكثر من خمسة أيام فلن يستطيع , إذ كان سيتشتت شمل جنده سواء نجح فى فتحها أم هزم . وسوف يفقد الملك فى هذه المرحلة سلطته . وسوف يقولون فيما بينهم سافر العجوز و ذهابه واجب . وقد صار من المعلوم أن هذا الأمر سِرّى , إلا إنهم حينما يشرحونه بأنفسهم يقولون (ص 66) إنه معجزة . فإن جميع من فى تركستان سواء جيش ما وراء النهر أو جيش خوارزم أوخوقند كان لديهم جميعا نفس الظروف . ولكن العبد لله استطاع فى هذه المدة القصيرة أن يفهم المسألة أفضل منهم , فقد قلت لهؤلاء إن هذه الحكاية التى يرونها فى تركستان كمعجزة , هى ليست كذلك , لأن هذا يدل على جهل السلطان , وعدم استقرار أحوال الجيش , من حيث توافر العتاد والمؤن . فقد كان من الواجب تهيئة ثلاثة أمَنّان من الدقيق كل وقت , ولذلك كان لابد أن يتفرقوا , وهذه الحكاية متداولة منذ قديم الأيام , وقد ادعيتم أنها معجزة , فصدقها جميع الزعماء والقادة .

أما أحداث قلعة گيرى , فإنها لم تستمر أكثر من سبعة أيام . فلو تم الاستيلاء عليها فهذا حسن , وإلا فلتكن الحياة محرمة عليهم , وقد سمعت بنفسى أنا العبد لله حكاية حصار مدينة هزار اسب , ورأيت قصة خجند , ولكنهم لم يتوقفوا أكثر من ثلاثة أيام .

أما بالنسبة إلى جيش بخارا فإنى على ثقة مما قد تقصيتُ عنه من خلال أُناس أُوقن من صدقهم وهو كالآتى : أن تعداده يبلغ حوالى عشرين ألف جندى , هذا سوى الجيش الذى كانوا قد حشدوه فيما سبق من الولايات , وهذا (الجيش) كانوا أحيانا يمدونهم به وأحيانا أخرى يضنون به , ويبلغ عدد أولئك حوالى ثلاثة آلاف جندى , وهؤلاء يخرجون عند الحاجة فقط . وتفصيل الثلاثة آلاف جندى الذين يأخذونهم من الولايات كالآتى : من مدينة شهر سبز ستمائة نفر , ومن شبرقان و بلخ و ميمنه و اندخوى و سرپل ده نو ألفين وأربعمائة نفر . هذا إلا أن الجيش الذى كان قوامه عشرون ألف , كان منهم حوالى ألف ضابط ومائتى مدفعجى كان يخصص لهم رواتب شهرية لمدة ست سنوات , فعبد الصمد خان التبريزى , الذى كان لدى دوست محمد خان أفغان ثم فر وجاء إلى بخارا , فأولاه سمو الأمير برعايته وهيأ له أسباب العمل فى القوات العسكرية .

ففى السنوات الثلاثة الماضية التى كان الضابط والمدفجى عبد الصمد خان التبريزى قد أخذ فيها راتب , حرضه سمو الأمير على محاربة زعيم قرية جرق[1] (جرغ) التى تدخل ضمن التقسيم الادارى الأميرى لبخارا , فاحتجز محمد عليخان ، وذهب واستولى على تلك القلعة , أعنى أن حراس قلعة جرق (جرغ) ، قد فقدوا القلعة ، واستولوا على قلعة أُرتپه بقوة المدفعية . وعندما وجدوا أنفسهم قد عجزوا عن رؤية المدفع والمعسكر والقلعة ، دب رعب شديد فى قلوبهم ، فأرسل محمد عليخان بشيلان وهدايا يبلغ قيمتها حوالى خمسين أو ستين ألف طلا (ص 67) إلى سمو الأمير .

فتبادلوا السفراء واتفقوا على أن تظل هذه الولاية تحت تصرف أمير بخارا كما كانت فى السابق , ثم عاد سمو الأمير من أُرتپه حيث كان سيذهب إلى بخارا . وبعد شهرين أو ثلاثة حشد محمد عليخان جمعا من الجمهور الذين كانوا قد أتوا إلى حدود أُرتپه وجرق (جرغ) , حيث كان الأهالى هناك يريدون محمد عليخان . فخرجوا جميعا وأعلنوا طاعتهم له . فخرج إليهم سمو الأمير مجددًا وهاجمهم , ونجحوا فى التقدم لفتح القلعة مرة أخرى بفعل الخوف من المدافع والضباط . وأعمل الأمير القتل فى أُرتپه فقتلوا ثلاثمائة شخص فى أُرتپه ومائتى شخص فى جرق (جرغ) .

ثم تحرك من هناك إلى حدود خجند , وكان أهل خجند لازالوا أسرى الخوف والرعب , مما ألم بأهل جرق (جرغ) وأُرتپه , ومن المدافع والضباط الذين كانوا لم يروهم بعد , فلم يبدوا أدنى مقاومة , فتم فتح خجند أيضا , وأعمل فيهم الأمير القتل أيضا , فقتلوا أربعمائة شخص خجندى .

وكانت المسافة من خجند حتى خوقند تبلغ أربعة عشر فرسخا , فنزلوا بمنزلين أو ثلاثة. فذهب رسول من قبل سمو الأمير لدى محمد عليخان ، وقال إذا وجب الصلح الآن فنحن لن نعترض . فأت بإنسان عاقل بصحبتك وسوف نسلمك الولاية التى أخذناها منك , فأرسلوا إلى الرسول فى الخفاء بأنه إذا كان فى إمكانك أن تحضر ابن محمد عليخان بصحبة الجيش والوزير الكبير , فذاك سوف يكون حسنا جدًا , وسوف أسلمهم قرار الصلح .

([1]) جوق , جرغ , شرغ , چرغ هى قرية كبيرة كانت تقع بالقرب من بخارا , وكانت تعرف باسم شرغ وهو معرب چرغ , وكانت تعرف أيضا باسم رودى نسبة إلى نهر السغد الذى كان يصل إليها , وهذه القرية ينسب إليها عدد كبير من العلماء منهم أبو بكر محمد بن ابراهيم بن صابر الشرغى المتوفى فى رجب سنة 272 هـ فى مدينة سمرقند .

وبعد ذهاب الرسول كان على محمد عليخان أن يوجه ابنه إلى جهة عقد الصلح بصحبة جيش الوزير الكبير ومعهم الكثير من الهدايا , من قبيل الأموال النقدية والجواهر والشيلان بقيمة خمسون ألف طلا , فوصلوا إلى سمو الأمير على بعد عشرة فراسخ من خوقند . فحجزوا أموال الهدايا , وأخذوا ابن محمد عليخان وجيش الوزير الكبير طبقا للاتفاق , ووجهوهم إلى خوقند . فتقدم الجندى والمدفجية , وعبد الصمد خان , وساروا بكل ما لديهم من قوة لمدة يوم وليلة إلى خوقند حتى لا يقدم على أى عمل . وفى آخر الأمر تمكن محمد عليخان من الفرار , فدخلت مدينة خوقند تحت تصرف سمو الأمير.

فر محمد عليخان إلى نمنگان , فقال بعض زعماء خوقند لسمو الأمير (ص 68) لو أذنت لنا أن نذهب , فسوف نقبض على محمد عليخان , فأذن لهم الأمير بالذهاب , فذهب هؤلاء السادة إلى نمنگان , وقبضوا على محمد عليخان مع واحد من خدمه , وأحضروه إلى سمو الأمير .

فأصدر سمو الأمير حكما بقتل محمد عليخان أمام الحضور , وقتلوا كافة نساء محمد عليخان وأولاده وأمه , عدا محظيته , حيث أوقفوها بعد ثمانية عشر يوما فى خوقند , وأحضروها برفقتهم إلى بخارا , أما طفل محمد عليخان ذى الثلاث سنوات من عمره ، الذى كان فى حضانة امرأة ختائية فى مكان آخر , فإنه لم يقتل , وقد تم وضع ذلك الطفل الصغير وأمه الجارية , فى منزل مشرف أمير بخارا , وقد ظل به حتى بلغ ست سنوات , وقد رآه العبد لله .

أما امرأة محمد عليخان التى كانت شديدة الجمال , فقد شملها سمو الأمير بالكثير من عطفه وأبقاها مدة فى بخارا . وقد صدر قرار جماعى , بأن هذه معركة خوقند كلها وأن على سمو الأمير أن يسلك معها نفس ما سلكه مع تلك قليلة الجمال .

وعلى الرغم من أن سمو الأمير قد تعقب تلك الجارية الضعيفة ثلاثة أشهر , إلا أنه لم يتمكن منها , فقتلها فى النهاية , أما تفصيل قصة خوقند فقد تم عرض ملخص لها فى البداية .

أما قاعدة بيانات تحصيل الضرائب ببخارا , فهى على هذا النحو : يأخذون عن كل مائة رأس من الخراف , سبعة عشر ألف دينار نقدًا , وقد تزيد أيضا حتى ألف أو ألفين أما بالنسبة للأراضى والأملاك

الحكومية التى تمتلكها الدولة , ويدفعون عن كل عشرة أمَنّان[1] (أى 30 كيلو جرام) من القمح والشعير و (الجوزق)[2] زهور القطن , ثلاثة أمَنان من السلع (أى 9 كيلو جرام) , إلى ديوان المالية .

و عن الجوارى والغلال وبذور الكتان والسمسم وما يماثلها يأخذون عن كل ثلاثة أمَنان (9كيلو جرام) مَنّا واحدا (3 كيلو جرام) , أما ايجارات استراحات القوافل فقد كانوا يدفعون عن كل أربعين طلا , طلا واحد . فالضريبة تحدد طبقا للدخل , وهم لايدفعون دينارً واحدً ضرائب عن ايجار العقارات الحكومية التابعة للدولة , ولا يأخذون شيئا عن أى أصناف بوجه عام , ولا يأخذون من ذوى الأملاك من الرعية دينارًا واحدًا عن أملاكهم. و لا يأخذون من أصحاب البساتين من الرعية دينارا واحدا .

أما بالنسبة للحدائق التى تخص الملك والتى تبلغ مساحتها عشرة آلاف متر مربع , فإن حارس الحدائق يسدد للملك عن كل (ص 69) عشرة آلاف متر مربع , إثنا عشر ألف دينار . وقد تم السؤال والتحرى عن هذه التفاصيل من الايرانيين الذين يستأجرون الأملاك والحدائق . وقد تقصوا عن هذه (الأمور) بأنفسهم أيضا من الأوزبك , فأجابوهم بنفس الاجابة .

أما بالنسبة لموضوع المناصب الأميرية , وتفصيل مسميات مناصب بوابة أمير بخارا فإنها ستكون كالآتى : الأول دار بى فرمان , ويقولون له الزعيم . والثانى ينجاه باشى بى فرمان (زعيم الخمسين غير الرسمى) ولكنه جندى ذو رتبة .

أما الثالث يوزباشى[3] بى فرمان (اليوزباشى غير الرسمى) إلا أنه بدون رتبة . الرابع يوزباشى تابين دار (اليوزباشى الذى يكون بدون عمل)[4] . الخامس چهره اقاسى (الحاجب الذى يلازم الأمير) . السادس

([1]) المنّ : هو وحدة وزن تعادل ثلاثة كيلو جرام , وكانوا يطلقون عليه مَنّ تبريزى .
حسن عميد (دكتور) – فرهنگ فارسى عميد – ص 881 .

([2]) جوزق : بمعنى زهرة القطن .
سيد محمد على داعى الاسلام – فرهنگ نظام – ط2 – ج 2 – ص 415 – تهران 1362 هـ . ش

([3]) يوزباشى تعنى القائد الذى يقود فرقة مكونة من مائة نفر .
دهخدا – لغت نامه – مادة يوزباشى – قاموس الكترونى .

([4]) يوزباشى بدون عمل هو الشخص الذى ليس له عمل أو مهمة سوى حماية الأمير وحراسته (حارس خاص) وفى أثناء الحرب يحارب على يمين الأمير .

ميرزاباشى . السابع خزانه دار باشى بى عمل (حارس أمين الخزانه وهو بدون منصب) . الثامن جارچى باشى (المنادى) . التاسع چپانقچى , العاشر رساله چى (المسئول عن الرسائل) , الحادى عشر چلباچى[1] , الثانى عشر قورچى باشى (الرامى) , الثالث عشر قراول بيگى , الرابع عشر پانصد باشى , الخامس عشر امير آخور (أمير الأعلاف) , السادس عشر توقسايه (حارس الطريق) , السابع عشر مهتر (وزير الدولة) , الثامن عشر ايشيك آقاسى باشى (كبير حجاب القصر) , التاسع عشر چقه تاى بيگ , العشرون اناق مُهر دار(حامل أختام الأمير) وهو الذى يقوم بختم بعض الفرمانات . الحادى والعشرين عمل بى وهو أيضا منصب . الثانى والعشرين داد خواه عصادار(منسق عملية تقديم الشكاوى) . الثالث والعشرين اناق بزرگ بى مُهر(كبير مستشارى الأمير) , الرابع والعشرين پروانچى مُهردار[2] , الخامس والعشرين ديوان بيگى بزرگ (الكاتب الكبير) , السادس والعشرين عمل ميرزائى وينبغى أن يكون من طائفة الأمراء . السابع والعشرين اتاليق[3] وهو منصب ينبغى أن يتولاه شخص رزين لايمكن استبداله أو تغيره ولايكون له بديل مطلقا. الثامن والعشرين قوش بيگى (الوزير الكبير) , أما تفصيل حضرات سادة بخارا الذين يحضرون مجلس سمو الأمير وتمييز درجاتها فهى كالآتى : الأول أُراق , الثانى الصدور الثالث الصدر , الرابع أُراق بزرگ , الخامس أُراق بزرگ وهو افتراضى , السادس النقيب , السابع الشخص الذى يجلس يسار الملك فى الپهلوية , عند اداء النقيب التحية . الثامن الأشخاص الأربعة من سادة جوبار الذين يجلسون أعلى كرسى العرش على الجانب الأيمن , وهم ليس لهم عمل ويأتون فى عيد العام السادس ليؤدون التحية . وشخصين من هؤلاء الأربعة يقومون بتأدية التحية كل صباح . وعند الجلوس يجلسون أعلى يد قاضى القضاة ناحية اليسار . وأحد هذان السيدان شيخ الاسلام

([1]) چلباچى يمكن أن يكون صاحب هذا المنصب هو المسئول عن الموازين لأن كلمة چلب تعنى ميزان. (المترجم)

([2]) پروانچى مهر دار هو مسئول ايصال الرسائل الأساسية من جانب الأمير إلى الجهات المختلفة .

([3]) أتاليق :كلمة جغتائية. وهو منصب لا يتولاه الا شخص يكون محل ثقة الملك أو الأمير , لأنه يعرفه ويعرف أباه شخصيا , وعليه فإنه يستشيره فى كل الأعمال , وصاحب هذا المنصب هو أيضا من يقوم بعرض شكاوى الرعية على الملك او الأمير , وهو يكون محل ثقة ومعتمد بين الحاكم والرعية .

شيخ سليمان افندى اوزبكى البخارى – فرهنگ جغتايى – فارسى (ترجمه وتحشيه حسن عبد الهى جهانى «اومود اوغلو») – چاپ اول – ص 339 – تبريز 1392 هـ.ش . (المترجم)

والآخر يشغل عمل ملكى . ويجلس قاضى القضاة تحت يد سادة جوبار. ويجلس بعد (ص 70) قاضى القضاة ميراسد وهو منصب ويجلس بعد من يتولى منصب الميراسد من يقولون له ميرزا وهو من السادات والملاوات . ويجلس بعد الميرزا الكاتب الكبير . ثم يجلس قاضى العسكر بعد الكاتب الكبير . ثم يجلس مفتى العسكر بعد قاضى العسكر . ثم يجلس باقى العلماء الآخرين أدنى مفتى العسكر وأعلى تخسياى . ويتمنطق السادات والعلماء والملاوات بمناطق فوق الجبة .

أما تفصيل أصحاب المناصب الرسمية وتمييز رتب المناصب : أولا الخدم ويقولون له محرم , وأول درجاته ده باشى (نائب) , ثم يرتقى إلى رتبة أعلى فيصيروا مير شب (مشرف ليلى) , ثم يرتقى إلى توپچى باشى (قائد المدفعية) , ويسمون ذلك التوپچى باشى قلعه بيگى (حاكم القلعة) , ثم يرتقى من توپچى باشى إلى كتاول (حارس أو خفير) , ثم من كتاول إلى مهتر سفر (وزير البلاد المسئول عن السفر) الذى قد يكون خزانه دار (خازن أو المسئول عن الخزانه) .

ثم من مهترى إلى شقاول[1] وهو منصب وزير الخارجية . وهو يدير ملفات جميع الدول الخارجية والداخلية , ثم يرتقى من منصب شقاول إلى أمير آخور باشى (أمير أعلاف) اصطبل الملك . أما تفاصيل

([1]) شقاول/شيغاول: وهو أيضا رتبة فى بلاط تركستان . و يمكن أنه يعنى أيضا المسئول عن التشريفات فى البلاط , القائم يالأعمال , أو مستشار .
شيخ سليمان افندى اوزبكى البخارى – فرهنگ جغتايى – فارسى – چاپ اول – ص 183 .(المترجم)

منافع الملك من المملكة , ونفقات ملبسه هو وعياله وأكلهم وشربهم من خلال أموال الجزية التى يتم جمعها من اليهود والهنود . فهم يجمعون حوالى ثلاثين ألف تومان فى العام من كافة مصادر الجزية الخارجية , وهم لايعطون لأحد دينارا من هذه المصارف .

أما مصادر دخل ملك بخارا الخارجية والداخلية فإنهم يقدرونها طبقا لتأكيدات ضياء الدين الوصى , ومجموع عائدات الممتلكات الحكومية , بأنها تقدر بحوالى خمسة وثلاثين ألف تومان لأمير بخارا . وكانوا لايُحصِّلون عن أملاك الرعية من الاقطاعين دينارًا ملكيا واحدا , أما مجموع الضرائب الحكومية , والرواتب الشهرية أو السنوية والخيول التى تخدم فى الحكومة , فإنها إذا لم تكف المستخدمين , فإنهم يعطون بعض الشئ إلى الوصى ضياء الدين , فإن جميع الممتلكات الحكومية والدواب تبلغ قيمتها جميعا مائتى وخمسين ألف طلا. أما زكاة القلعة التابعة للروس وزكاة كابل وزكات ايران فإنها تعادل زكاة الصين التى تعادل على سبيل التخمين حوالى أربعين ألف طلا . أما زكاة الختا التى كانت ترد عن طريق كاشغر وخوقند , أما اورگنج وهرات وبلخ فإنها تبلغ جميعا حوالى ثمانية ألف طلا , (ص 71) وعليه فإن جميع ايرادات الأماكن كافة التى تبلغ ستين ألف طلا وتورد إلى أمير بخارا من قبيل الزكاة .

وقد تم الاجماع على أن إجمالى أرباح ومصادر دخل مملكت بخارا مع توابعها ومراعيها ومواشيها وثروتها النقدية وممتلكاتها العقارية تبلغ مائة وعشرة ألف . أما قبائل بخارا الذين يسكنون فيها , فإنهم يقيمون فى مملكت بخارا وأحيانا أخرى يقيمون فى صحراء ختاقبچاق , ويُلقبون باسم قبائل قره قُيوز , وهم يعتبرون من مجموع الأوزبك . وهم أحيانا يدفعون لأمير بخارا جزء من دخل المراعى والمواشى , وأحيانا لايدفعون مطلقا . وإذا أراد سمو الأمير السفر إلى ناحية ما وطلب منهم فارس لايستجيبون , فالأغلبية هم أصحاب الدولة . فمن المعروف أنهم يقدرون بحوالى مائة ألف أسرة .

أما حكامها الذين يتحدثون بلغة بخارا فإنهم يلقبونهم بـ قرقان بيگى , أى قلعه بيگى (حاكم القلعة) , وهم يدفعون إلى المستخدمين من ريع الأموال التى تُحصَّل من الأملاك الحكومية . ويدفعون عن ولايتهم للملك مرتين كل عام أموال نقدية ومواد غذائية من أرباح المستخدمين الذين يتحدثون باللغة البخارية , ويحضرون صرتين أو ثلاثة من الخلع العامة للملك كهدايا , ويسمونها تارتوق وترقوز . أما ما يتبقى من ريع الأملاك الحكومية بعد تسديد أرباح المستخدمين والهدايا , ومقداره خمسة آلاف طلا , يأخذه ذلك الحاكم عوضا عن ريعه . فلا يوجد فى ذلك المكان قانون للمحاسبة , فلا يُستَفسر عن كل ما يأكل أو يحمل.

أما نوكر الامانى فهو الخادم الأسود , فاذا كان حصانه قد مات ومعه شهادة من رئيسه بذلك , فإنهم يمنحونه حين السفر أربعة طلا نقدا للحصان , ويمنحونه طلا واحد كل شهر خلال السفر . حيث كان سفر هؤلاء لايتجاوز الأربعين يوما . وفى بعض الأحيان يعطون زعيمهم حصان من اصطبل سمو الأمير .

أما الماء الذى يجرى فى مملكة بخارا ويروى جميع أراضى المملكة , فإنه لايوجد نهر آخر سوى ذلك النهر , الذى لا يمر سوى بمكانين الأول بچهار جو وهو يستمد مائه من نهر آمويه والآخر ببلخ والذى يستمد مائه من سد البربر المشهور باسم سد جناب أمير المؤمنين عليه السلام .

أما منبع تلك الأنهار التى تجرى فى بخارا وما يتبعها فهو نهر زرفشان الذى يستخرج منه الذهب (ص72) , أما نهر آمويه فإنه ينبع من الختا حيث ينفصل نهر زرفشان عن نهر آمويه عند بدخشان . ونهر زرفشان هذا يقع فى بدخشان , وبناءً على قول الجميع فهو يعبر من فوه جبل , وذلك الجبل جميع أحجاره من اللازورد . ويوجد مجرى ذهبى يمر بين جنبات الجبل بطول الجبل وعرض ذلك المجرى الذهبى حوالى عشرة أذرع . وهو يسطع مثل الشمس ليل نهار . ولا يستطيع شخص الوصول إليه لا من أسفل

ولا من أعلى . ونهر زرفشان هذا ينفصل عن نهر آمويه عند نفس سفح الجبل وهو ينبع من أعلى تاشكند عاصمة افراسياب ومن داخل مدن خوقند .

وهو يأتى من تاشكند من جبل إلى جبل حتى سد اسكندرى الذى أغلق بالحديد , وهذا السد يجرى مائه عبر جبل شهر سبز ومن شهر سبز إلى بخارا أى حوالى خمسة وعشرين فرسخا , ولذا يسمون حاكم شهر سبز ولى النعم , وهو لا يخضع لطاعة وسلطة أمير بخارا . وقد أبرز لأمير بخارا جمع من أهلها عدة مرات , ونجحوا فى الوصول إلى حدود المدينة ولكنه لم ينجح فى تحقيق ما دبره .

فإنتهى الأمر بأن يساير بعضهم بعضا , فإن مجموع سكان ومستخدمى شهر سبزى حوالى سته آلاف نسمة , ولكن شعبها لم يكن يتمتع برشادة العقل كسائر شعوب تركستان .

أما بالنسبة لتفاصيل استخراج الذهب من نهر زرافشان , فإن ماء نهر زرافشان ينبع من قرية زنده بى التى تعد من توابع بخارا . فهم يستخرجون الذهب من النهر هناك , عن طريق وضع جلود الخراف على حافة النهر , ثم يجمعون الذهب الملتصق عليها , فتحقق لهم ايراد سنوى يبلغ ألف وخمسمائة مثقال من الذهب وقد يزيد أو ينقص .

أما تفاصيل أسامى التركمان وعددهم فهى كالآتى : طوائف التركمان الذين يسكنون على حافة نهر جيحون الذى يعرف بـ آمويه , واسم تلك الطائفة **ارسالى** والتى كان الله قليخان اورگنجى قد رحلَّها لمدة عامين . وقد كانوا يدفعون لأمير بخارا جزء من الأموال , مما كان سببا فى نشوب نزاع بين خان بخارا واورگنج , وعدد اؤلئك حوالى أربعين ألف أسرة .

الطائفة الثانية **ساروق** , وكانوا يسكنون فى قلعة مرو القديمة والجديدة , وهم يعرفون بأنهم أنجب وأكثر الطوائف سطوة من سائر طوائف التركمان ويبلغ عددهم حوالى اثنا عشر ألف أسرة .

(ص73) الطائفة الثالثة **سالور** وقد كانوا يسكنون فيما قبل فى سرخس , ثم سكنوا مرو بعد تخريب سرخس وتضررها من قبل المغفور له نايب السلطنة , وعددهم يصل إلى ثمانية آلاف أسرة .

والرابعة : طائفة **التكه** التى كانت تسكن چهار جو ومرو وآخال وفى تجن وسرخس , ويبلغ مجموع هؤلاء حوالى ثمانين ألف أسرة . وطائفة التكة بسهميهما آقتمش و توقتمش وقد انبثق من هذين السهمين سهام أخرى عالية الحدة .

قائمة مصادر و مراجع البحث

1 – القرآن الكريم

2 – **ابو القاسم بن حوقل النصيبى** :

المسالك والممالك – ليدن 1872 م

3 – صورة الأرض – بيروت – لبنان 1992 م

4– **ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة** :

المسالك والممالك – لندن 1889م

5 – **ابى اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الأصطخرى** :

المسالك والممالك – تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحينى – مراجعة محمد شفيق غربال – القاهرة 2004 م

6– **ابى بكر بن جعفر النرشحى** :

تاريخ بخارى – الترجمة العربية (د. أمين عبد المجيد بدوى – نصر الله مبشر الطرازى) – ط3 – القاهرة 1993 م

7 – **ابى سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الگرديزى** :

زين الأخبار – ط1 – الترجمة العربية (د. عفاف السيد زيدان) – القاهرة 2006م

8 – **ارمنيوس فامبرى** :

تاريخ بخارى (منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر) – الترجمة العربية (د. أحمد محمود الساداتى) – القاهرة 1872م

9– **استانلى لين بول** :

طبقات سلاطين اسلام (جداول تاريخى ونسب هاى ايشان) – ترجمه فارسى (عباس اقبال) – چاپ دوم – تهران 1363 هـ.ش

10 – **اعتماد السلطنة «محمد حسن بن على »** :

تاريخ منظم ناصرى – تهران 1367 هـ.ش

11 – **السيد عبد المؤمن السيد أكرم** :

أضواء على تاريخ توران تركستان – تقديم الأستاذ أحمد جمال – ط1 – مكة المكرمة 1395 هـ

12 – **الشريف الادريسى** :

نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق – القاهرة 2002 م

13 – **القاضى مهاج سراج الجوزجانى** :

طبقات ناصرى – ط1 – الترجمة العربية (د. عفاف السيد زيدان) – القاهرة 2013 م

13 – **أمين گلى** :

تاريخ سياسى واجتماعى تركمن ها – چاپ اول – چاپخانه مهارت – 1366 هـ.ش

14 – **أمين واصف** :

الفهرست – تحقيق أحمد ذكى باشا – القاهرة 1998م

15 – **بوريبوى احمدوف , وآخرون** :

العرب والاسلام فى اوزبكستان (تاريخ أسيا الوسطى من أيام الأسر الحاكمة حتى اليوم) – مراجعة نعمت الله ابراهيموف – ط2 بيروت – لبنان 1999م

16 – **زكريا بن محمد بن محمود القزوينى** :

آثار البلاد وأخبار العباد – طبعة – 1848م

17 – **سفر نامه رضا قلى ميرزا نوه فتحعلى شاه:** – بكوشش اصغر فرمانفرمائى قاجار – تقديم سعيد نفيسى – تهران 1346هـ.ش

18 – **سفر نامه بخارا** (عصر محمد شاه قاجار) – باهتمام حسن زمانى – تهران 1373هـ.ش

19 – **سيد على مترنيا** :

ايل وطايفه هاى عشايرى خراسان – چاپ اول – تهران 1369هـ.ش

20 – **شاهين مكاريوس:**

تاريخ ايران – القاهرة 1424هـ/2003م

21 – **شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى** :

معجم البلدان – بيروت 1377م

22 – **عادل ارشادى فرد** :

فرهنگ واژگان تركى در زبان وادبيات فارسى – چاپ اول – تهران 79

23 – **عباس اقبال** :

تاريخ ايران بعد الاسلام – الترجمة العربية (د. علاء الدين منصور) – القاهرة 1989م

24 – **عباس اقبال آشتيانى** :

تاريخ ايران از صدر اسلام تا انقراض قاجارية – چاپ دوم – طهران 1392هـ.ش

25 – **على قاسمى وآخرون** :

ارزيابى كيفيت منابع آب حوزه آبريز شورلق سرخس در استان خراسان رضوى – (هشتمين انجمن زمين شناسى مهندسين ايران 15 , 16 آيان 1392هـ.ش دانشگاه فردوسى مشهد) بحث منشور فى المؤتمر الثامن لجمعية المهندسين الجولوجيين الايرانيين فى جامعة فردوسى مشهد

26 – **فيتالى نومكين** :

بخارى – الترجمة العربية (صلاح صلاح) مراجعة عايده خورى – ط1 – ابو ظبى 1995م

27 – **كلمنت ماركام** :

تاريخ ايران در دوره قاجار – ترجمه فارسى (ميرزا رحيم فرزانه) به كوشش ايرج افشار – چاپ دوم – تهران 1367هـ.ش

28 – **كمال مظهر أحمد (دكتور)** :

دراسات فى تاريخ ايران الحديث والمعاصر – بغداد 1985م

29 – **كى لسترنج** :

بلدان الخلافة الشرقية – الترجمة العربية (بشير فرنسيس – كوركيس عواد) – ط1 – بغداد 1373هـ/1954م

30 – **محمد تقى لسان الملك سپهر**:

ناسخ التواريخ (تاريخ قاجاريه) – به اهتمام جمشيد كيانفر – تهران 1377هـ.ش

31 – **محمد جعفر خورموجى** :

تاريخ قاجار (حقايق الاخبار ناصرى) بكوشش حسين خديوجم – تهران 1345هـ/1966م

32 – **محمد حسن اعتماد السلطنه** :

صدر التواريخ – چاپ دوم – تهران 1357هـ.ش

33 – **محمد سليم بن محمد رحيم** :

كشكول سليمى وتاريخ متقدمين ومتاخرين (1330هـ) – باهتمام ملا عبد الكريم بن ملا عبد الرازق – طبعة 1331هـ

34 – **محمد سهيل طقوش (دكتور)** :

تاريخ الدولة الصفوية فى ايران (907 – 1148م / 1501 – 1736م) – ط1 – بيروت – لبنان 1340هـ/2009م

35 – **ميرزا رشيد اديب الشعرا** :

تاريخ افشار – واهتمام محمود راميان و پرويز شهريار افشار – تبريز 1346هـ.ش

36 – **ميرزا شمس بخارايى** :

تاريخ بخارا , خوقند وكاشغر (در شرح حكمرانى امير حيدر در بخارا , محمد على خان در خوقند , وجهانگير خواجه در كاشغر) – تصحيح وتحقيق محمد اكبر عشيق – تهران 1377هـ.ش

37 – **هنرى دى كولييوف بلو كويللى** :

التركمان بين الماضى والحاضر – الترجمة العربية (د. عبد العزيز محمد عوض الله) – القاهرة 2001م

38 – **ياووزبهادر اوغلو (نيازى برنجى)** :

بخارى تحترق – الترجمة العربية (د. عبد العزيز محمد عوض الله) – ط1 – القاهرة 2009م

القواميس ومواقع شبكة المعلومات الدولية

39 – **حسين عميد (دكتور)** :

فرهنگ فارسى عميد – طهران 1389هـ.ش

40 – **سيد محمد على داعى الاسلام** :

فرهنگ نظام (فارسی به فارسی) ج2 – الهند 1356هـ/1938م , ج4 – تهران 1362هـ.ش

41 – **شيخ سليمان افندى اوزبكى البخارى** :

فرهنگ جغتائی فارسی – ترجمه وحواشی حسن عبد اهی جهانی (اومود اوغلو) – ط1 تبريز 1392هـ.ش

42 – **على اكبر دهخدا** :

لغت نامه – نسخه الكترونية

43 – **على اكبر نفيسى (ناظم الاطبا)** :

فرهنگ نفيسى – تهران 1355هـ.ش

44 – **غلام حسين صدرى افشار وآخرون** :

فرهنگ معاصر فارسی – تهران 1381هـ.ش

45 – **محمد معين** :

فرهنگ فارسی – چاپ ششم – تهران 1363 هـ.ش

46 – سايت أهل بخارا على شبكة المعلومات الدولية
http://www.hukam.net/family.php?fam=774

47- موسوعة ويكيديا https://ar.wikipedia.org/wiki.